الكواشف الجلية

للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية

تأليف
فضيلة الشيخ
محمد بن رمزان الهاجري

دار المنهاج

مقدمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا، وَمِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ

الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالةٍ فِي النَّارِ، وَبَعْدُ:

فإنَّ المنهَجَ السَّلَفيَّ هو الطَّرِيقُ الوَاضِحَةُ البيِّنةُ الَّتي كانَ عليها النَّبيُّ ﷺ وأتبَاعُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِين وتابعي التَّابعين؛ الَّذِين عاشُوا في القُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَىٰ المفضَّلة، والَّتي جاءَ الثَّناء عليها مِنَ الرَّسُول ﷺ حيثُ قَالَ: «**خَيرُ النَّاس قَرنِي، ثمَّ الَّذِين يلُونَهم، ثمَّ الَّذِين يلُونَهم، ثمَّ يأتي مِن بعدِ ذلك أُنَاسٌ يَشْهَدُون وَلَا يُستَشهدُون، ويَخُونون ولا يُؤتمنُون، وَيَنْذرُونَ وَلا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(١).

تعريف السلف:

قال ابن منظُورٍ: «سَلَفُ الرَّجلِ: آباؤُه المتقدِّمُون، والجمعُ: أَسْلَافٌ... والسَّلَفُ أَيضًا: مَن تَقَدَّمَكَ مِن آبَائِكَ وذَوِي قَرابَتِك الَّذِين هُم فوقَك في السِّنِّ والفَضْل»(٢).

وقال السَّمعانيُّ: «السَّلَفيُّ -بفتح السِّين واللَّام، وفي آخرها فاءٌ- هذه النِّسبة إلىٰ السَّلَفِ وانتِحَال مَذَاهبِهِم علىٰ مَا سَمِعت مِنهُم»(٣).

فالسَّلَفيَّة: ليسَ حقبةً تاريخيَّةً مَضَت وانقَضَت، بل هِي الرُّجوع إلىٰ الكِتَابِ والسُّنَّة، وإلىٰ ما كَانَ عليه سَلَفُ الأمَّة، وهذا هو المنهجُ المعصُوم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) «لسان العرب» (٩/ ١٥٨)، مادَّة (سلف).

(٣) «الأنساب» (٣/ ٢٧٣).

والسَّلَفيُّون هم كذلك أهل السُّنَّة؛ لأنَّهم يأخذُون بسنَّة الرَّسُول ﷺ، ولا يقدِّمُون عليها رَأيَ كَائِنٍ مَن كَان، وكتبُهُم شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، فانظُر مَثَلًا: «السُّنَّة» للخَلَّالِ، و«السُّنة» لعبد الله بن أحمد، و«السُّنَّة» لابنِ أبي عاصمٍ، وغيرها.

وهم كذلك الجَمَاعَة؛ لأنَّهم مُجْتمعُون علىٰ السُّنَّة، دَاعُونَ إلىٰ نَبذِ البِدَعِ الَّتي تفرِّق الأمَّة.

والواجبُ علىٰ المسلِمِ: تحقيق التَّوحيد، واتباع الكتاب والسُّنَّة بفهم السَّلَف الصَّالح، وتجنُّب البِدَعِ والمحدَثَات، فإنَّ هذا هو طريق النَّجاة؛ فعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِهِ، ثمَّ قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُستَقِيمًا**»، قَالَ: ثمَّ خَطَّ عَن يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، ثمَّ قَالَ: «**هَذِهِ السُّبُلُ، ولَيسَ مِنهَا سَبِيلٌ إلَّا عَلَيه شَيطَانٌ يَدعُو إلَيه**»، ثمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣]»[(١)].

وعنِ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧/ ٤٣٦) (٤٤٣٧)، وابن ماجه (١١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (١١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيُّ (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (٣٨٥١).

قال العلَّامةُ الشيخ محمَّد الصَّالح بن عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**السَّلَفيَّة**: هي اتِّباعُ منهَجِ النَّبيِّ ﷺ وأصحَابِهِ؛ لأنَّهم سلفُنا تقدَّموا علينا، فاتِّباعُهُم هو السَّلَفيَّة...

أي: اتِّباعُ منهجِ السَّلَف عَقِيدةً، وقَولًا، وعَمَلًا، واختِلَافًا، واتِّفَاقًا، وتَرَاحُمًا، وتَوَادًّا، كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المُؤمِنِينَ في تَوَادِّهِم وتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجسَدِ الوَاحِدِ، إذَا اشتكَىٰ منه عُضوٌ تَدَاعَىٰ له سَائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّىٰ والسَّهر**»[(١)]، فهَذِهِ هِيَ السَّلَفيَّةُ الحقَّة»[(٢)].

وإذا أَرَادَ المسلمُ سُلُوك سَبيل النَّجاة الوحيد، والسَّعادة في الدُّنيا والآخرَة، فلَيلزَم هَذَا المنهَج، ويَبذُل قُصَارَىٰ جهدِهِ في تعلُّمِه، ثمَّ تعليمه والدَّعوة إليه، وليحذَرِ الدَّعَوَات الأخرَىٰ المخالِفَة له، وليُحذِّر منها، فكلُّها شرٌّ مُستَطيرٌ، ولا يَتَعَرَّف عليها إلَّا بقدر ما يَعلَم عظمَة ما في المنهجِ السَّلَفي من حقٍّ، وما في هذه الدَّعوَات الأُخرَىٰ مِن باطِلٍ.

كَمَا قَالَ حُذيفة بن اليَمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاس يَسألونَ النَّبيَّ ﷺ عن الخَيرِ، وكُنتُ أسألُهُ عن الشَّرِّ مَخَافَةَ أن يُدرِكَنِي. فقُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّا كنَّا في جاهليَّةٍ وشرٍّ، فَجَاءَنا اللهُ بِهَذَا الخَيرِ، فَهَل بعدَ هَذَا الخيرِ شرٌّ؟ قال: «**نعم**»، فقُلتُ: هل بعدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِن خيرٍ؟ قالَ: «**نَعم، وفيه دَخَن**». قلتُ: ومَا دَخَنَه؟ قال: «**قومٌ يستنُّون بغيرِ سُنَّتِي، ويَهدُونَ بغيرِ هَديِي، تعرفُ منهُم وتُنكِرُ**»، فقلتُ: هل بعدَ ذلك الخيرِ مِن شرٍّ؟ قال: «**نَعَم، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُم إليهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فقُلتُ: يا رَسُول اللهِ، صِفهُم لَنَا. قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥٢)، ومسلم (٤٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «لقاءات الباب المفتوح»، السُّؤال رقم (١٣٢٢)، بتصرف يسير واختصار.

«**نَعَم، قَومٌ مِن جِلدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بِأَلسِنَتِنَا**». قلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَىٰ إن أَدرَكَنِي ذَلِكَ؟ قالَ: «**تَلزَمُ جَمَاعَةَ المسلِمِين وإمامَهم**»، فقلتُ: فإن لم تَكُن لهم جَمَاعَةٌ ولا إمَامٌ؟ قالَ: «**فاعتَزِل تِلكَ الفِرَق كلَّها، ولَو أن تَعَضَّ علىٰ أصلِ شَجَرَةٍ حتَّىٰ يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ عَلَىٰ ذلك**»[(١)].

ويقولُ الشَّاعرُ:

عرَفْتُ الشّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ الناسِ يقعْ فيهِ[(٢)]

ويجبُ علىٰ المُسلِمِ أن يَتَسَلَّحَ في سبيلِ ذلك بالعِلمِ.

هذا، وبينَ يدَيكَ -عَزيزِي القَارِئُ- مُحَاضَرَةٌ قيمةٌ لفَضِيلَةِ الشَّيخِ محمَّد ابن رَمزَان الهاجِرِي حفظه الله، ونفع بعلمِهِ- بعنوان: «**الكَوَاشِف الجَلِيَّة بين السَّلَفِيَّة والدَّعوَات الحِزبية البِدعيَّة**»؛ ذكر فيهَا أسبَاب تفرُّقِ الأمَّة المسلمة، والمخطَّطات المَاكِرَة المحيطَة بها، ثمَّ بين العِلَاج الوَحِيد، وهو طَلَبُ معيَّةِ اللهِ ﷻ، وذَلكَ بالتِزَامِ التَّقوىٰ والإحسَان؛ قال ﷻ مُخَاطِبًا نَبيَّه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٧، ١٢٨].

ثمَّ عَرَّفَ التَّقوىٰ والإحسَان، وبيَّن أنه إذَا حَقَّقَت الأُمَّةُ الإسلاميَّة التَّقوىٰ والإحسَانَ، يَتحقَّق لهَا وَعْدُ اللهِ بألَّا تكُونَ في ضيقٍ ممَّا يَمْكر المَاكِرون،

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٣٦٠٦)، ومسلمٌ (١٨٤٧).

(٢) البيت لأبي فراس الحمدانيِّ، من بحر الهزج. انظر: «ديوانه».

ويُخطِّط المُعْتَدون.

ثم تَطَرَّق إلىٰ أنَّه قد خَرَجَتْ في هذِهِ الأَزْمَان جَمَاعَاتٌ هِي امتدَادٌ للفِرَقِ المُحْدثة الَّتي فَارَقَتْ سبيلَ الصَّحابة.

وذكر أنَّ هذِهِ الفِرقة النَّاجِية الوَحِيدَة، والطَّائفة المنصُورة، لَهَا مَعَالمُ وأوصافٌ قد بَيَّنها النَّبيُّ ﷺ إجابةً عن سؤال الصَّحابَة: مَنْ هي يا رَسُول اللهِ؟ قال: «**الَّذِين هُمْ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأَصْحَابي**»(١).

ثمَّ سَرَدَ الشيخُ ابنُ رمزَان -وفَّقه اللهُ- عشرَةَ كَوَاشِف جَلِيَّة بينَ السَّلَفيَّة والدَّعوَاتِ الحِزبِيَّة البِدعيَّة.

وَلِأَهمِّيَّة هذه المحاضرةِ القَيِّمةِ، قُمنا -بِفضلِ اللهِ ﷻ- بإعْدَادِها للنَّشْر؛ موضِّحِينَ مَا اشتَمَلَت عَليهِ مِن فَوَائِدَ، مُبرزين هذه الكواشف، وذلكَ بالتَّدليلِ عليها مِن كَلَامِ أهلِ العلمِ؛ ثم عَرَضْنَا عَمَلَنَا علىٰ فضيلة الشيخ ابن رمزان؛ لِمُرَاجعته، وإبداء مُلَاحَظَاتِه؛ ليخرجَ في صورَة كتابٍ مَاتِعٍ مشوِّقٍ أكثَرَ إفَادَةً وإثراءً؛ ليعمَّ النَّفعُ به جَمِيع المُسلِمِين علىٰ اختلَافِ ثَقَافَاتِهم ومَعَارِفِهم.

وقد تَمَّ ذلكَ وفقَ الخُطُواتِ المنهجيَّة العلميَّة التَّالية:

١- إثباتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْمِ العِثمَانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعِها في المُصْحَف الشَّريفِ.

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٤١)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

٢- تَخْرِيجُ الأَحَادِيثِ بمنهجٍ مُوحَّدٍ، وذلك بذكرِ رقم الحديثِ فَقَط، واسمِ الرَّاوِي إن كان الحديثُ في «الصَّحيحَين»، أو أحدِهما، وإن كانَ في غيرِهما ذَكَرنا رَقمه أو رَقم الجُزء والصَّفحة مِنَ التَّرقِيمَات المُعتَمدَة كتَرقيمِ «محمَّد فؤاد عبد البَاقِي»، ثُمَّ أَوْرَدنا عَليه -في الغَالب- حُكم الشَّيخِ الألبَانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣- إثباتُ الأَحَادِيث الَّتي أَشَارَ فَضيلَةُ الشَّيخِ إلىٰ مَعَانِيهَا بألفَاظِها، وذَلِكَ في الحَاشِيَةِ.

٤- تَخريجُ الآثَارِ مِن مَصَادِرِهَا مِن كُتُبِ التَّفاسِيرِ والسُّنَّة.

٥- شرح بعض الكَلِمَات الغَريبة.

٦- عَزْوُ النُّقُولَاتِ إلىٰ مَوَاضِعِها في كُتُبِ أهلِ العِلمِ.

٧- إِضَافَة بَعْض التَّعليقات والنُّقولَات المُهِمَّة مِن كَلَامِ أَهلِ العِلمِ؛ إثراءً للمادَّة العلميَّة، وشرحًا لما فيها من مَعَانٍ مُجمَلَةٍ.

٨- عَمَل تَرْجمة لفَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان حفظه الله.

واللهُ مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصلَّى اللهُ على نَبيِّنا مُحمَّد ، وعَلَى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ

قسم التحقيق والبحث العلمي
بـ«دار المنهاج»

ترجمة فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهاجري

اسمُهُ:

هُو فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بنُ رَمزَان آل طَامي الهَاجِرِي حَفِظَهُ اللهُ.

مَولدُهُ وموطنُهُ:

وُلِدَ الشَّيخ ابنُ رَمزَان في الجبيلِ في المَنطِقَة الشَّرقِيَّة، المَملَكَة العَرَبِيَّة السُّعوديَّة.

طلبُهُ للعلمِ:

طَلَبَ الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان الهَاجري العِلمَ، وتَلَقَّاه علىٰ كِبَار المَشَايخ، واجْتَهَد فِيه، وذَلك إلىٰ جَانِب دِرَاسَته النِّظَامِيَّة التي حَصَلَ فِيها عَلَىٰ دَرَجَةِ (المَاجِستِير) في الفِقهِ مِن جَامِعَةِ الإمَامِ مُحَمَّد بن سعُودٍ في الرِّيَاضِ.

مَشَايخُهُ:

وَفَّقَ اللهُ ﷻ فَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان للتَّتَلْمُذِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِن أكَابِر عُلَمَاء

أهلِ السُّنَّة، والجُلُوس إِلَيهم، والنَّهْل مِن عِلمهم، والاستفادة مِن دَلِّهم وحَالِهم، وقد سئل الشَّيخ -حَفِظَهُ اللهُ- عَن مَشَايخه، فَأجابَ بأنَّهم كَانُوا أكثَر مِن مِئتي شَيخٍ، ونذكُر مِنهُم علىٰ سَبِيل المِثَال:

١- شَيْخ الإِسْلَام عَبد اللهِ بن عبدِ العَزِيز بن بَاز رَحِمَهُ اللهُ.

٢- مَعَالي الشَّيخ صَالح بْن فَوْزَان الفَوْزان.

٣- العَلَّامة الإمَام مُحَمَّد بن صَالِح العُثيمِين رَحِمَهُ اللهُ.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ العلامة مُحَمَّد أمَان الجَامي رَحِمَهُ اللهُ.

٥- فَضِيلَة الشَّيخ العلامة رَبِيع بن هَادِي المدخَلِي حفظه الله.

٦- فَضِيلَة الشَّيخ صَالِح الأطرم رَحِمَهُ اللهُ.

٧- فَضِيلَة الشَّيخ حمَّاد الأنصَاري رَحِمَهُ اللهُ.

هذا، غَير مَا للشَّيخ مِن عِلَاقَات وَطِيدة مَع أَفَاضِل العُلماء، وقد استَضَافَ كثيرًا منهُم، ومن هَؤلَاءِ:

١- الإمام المحدث العَلَّامَة مُحَمَّد ناصر الدِّين الألبَانِي رَحِمَهُ اللهُ.

٢- فَضِيلَة الشَّيخ صَالح بن سَعد السُّحَيمي حَفِظَهُ اللهُ.

٣- فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن هَادي المَدخَلي حَفِظَهُ اللهُ.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ عَايد بن خليفٍ الشِّمَري حَفِظَهُ اللهُ.

٥- فَضِيلَة الشَّيخ عُبيد بن عبد الله الجَابري حَفِظَهُ اللهُ.

٦- فَضِيلَة الشَّيخ فَلَاح بن إسمَاعيل مِندكار حَفِظَهُ اللهُ.

۞ صِفَاته:

نحسَب أن أبرزَ صفَة تَميُّز فَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان -حَفِظَهُ اللهُ- واللهُ حَسِيبه- هَضْمُه لِنَفْسِه، فتجده لا يَتَحَدَّث عن نَفسِهِ؛ ودَائِمًا ما يَنصح طُلَّابه أن يَرجِعُوا إلىٰ العُلمَاءِ الكِبَار.

۞ دُرُوسه العلميَّة:

للشَّيخ ابن رَمزَان- حفظه الله- نَفَسٌ طَوِيلٌ فِي الدُّرُوس المُسْتَمِرَّة، ودَأَبٌ عَجِيبٌ عَلَىٰ شَرْحِ مُتُون العُلَمَاء وكُتُبهم النَّافِعَة، وجَلَدٌ فِي المُثَابَرة علىٰ ذلك؛ فقد أَنْهىٰ- بِفَضْل اللهِ- فِي مُحَاضَرَاتِه شَرْحَ الكُتُب التَّالِيَة:

١- عُمدة الأحكَام، لِلإِمَامِ عَبد الغنيِّ المقْدِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢- شَرح السُّنَّة، لِلإِمَامِ البربَهَارِي رَحِمَهُ اللهُ.

٣- الإِبَانَة الصُّغرَىٰ، لِلإِمَامِ ابن بطَّة رَحِمَهُ اللهُ.

٤- لُمعَة الاعتِقَاد، لِلإِمَامِ ابن قدَامَة المقدسِي رَحِمَهُ اللهُ.

٥- الطَّحَاويَّة، لِلإِمَامِ أبي جَعفَر الطَّحَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٦- الأربَعِين النَّوويَّة، لِلإِمَامِ مُحيِي الدِّين يحيىٰ بن شَرَف النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٧- جُزْءٌ من كِتَاب «رَوضَة النَّاظِر» للعَلَّامَة ابن قُدَامَة المقدسِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

٨- الوَرَقَات، لِلإِمَامِ العمريطي.

٩- البيقونيَّة، لعُمر بن فتوح البَيقُوني رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٠- الرَّحبيَّة، لِلإِمَامِ أبي عبدِ اللهِ الرَّحبي الشَّافعِي رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١- الوَاسِطِيَّة، لِشَيخِ الإسلَام ابن تيمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢- كِتاب التَّوحِيد، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٣- مَسَائِل الجَاهِلِيَّة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رحمه الله.

١٤- كَشف الشُّبُهَات، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٥- فَضل الإسلَام، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٦- الأُصُول الثَّلاثة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٧- القَوَاعِد الأَربَع، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٨- الأُصُول السِّتَّة، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٩- مختصر زاد المعاد، للشَّيخِ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٠- كتاب العِبَادَات من «مَنهَج السَّالِكِين» للعَلَّامَة السَّعدي.

٢١- الدُّرُوس المُهِمَّة لعامَّة الأمَّة، لسَمَاحة الشَّيخ ابن بَاز رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٢- الأصُولُ من عِلمِ الأُصُول، للعَلَّامَة ابن عُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٣- المُلخَّص الفقهِيُّ، للشَّيخِ صَالِح الفَوزَان حَفِظَهُ اللهُ.

۞ مؤلفاته:

صَدَرَت عَن دار (المنهاج)- مصر كُتُب لِفَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان، هي:

١- الفُروق الجَلِيَّة بَين السَّلَفِيَّة والدَّعَوات الحِزْبِيَّة البِدْعِيَّة.

٢- مَجَالسُ في العِلم (مجلَّد).

٣- أَسْبَاب تَحْصِيل الهِدَايَة.

٤- وُضُوح المَنْهج السَّلَفي، وأَثَره في انْتِشَار الدَّعوة إلىٰ الله.

٥- أَسْبَاب احْتِوَاء الخَوَارج.

٦- هَدْي السَّلَف الصَّالح في تَرْبية الأَبْنَاء، ويَليه: أَسْبَاب جُنُوح الحَدَث.

- وبِالدَّار كُتُب أُخْرَىٰ تَحت الطَّبْع، وهِي:

١- شَرْح كِتَاب التَّوحيد- مُجَلَّدان.

٢- شرح مَسَائل الجَاهِلِيَّة- مُجلد.

٣- الهَدْي النَّبَوي لِوَقاية الإنسانِ مِن الشَّرِّ.

٤- ثَبَات أَهْل الحَديث أَمَام الفِتَن والتَّغَيُّرَات.

٥- حِمَاية الإنسانِ مِن كَيْد الشَّيْطَان.

٦- مَن يُرِد اللهُ به خَيرًا يُفَقِّهه في الدِّين.

٧- لُزُوم الجَمَاعة وطَاعة وُلَاة الأَمر، وأَثَر ذَلك عَلىٰ الفَرْدِ والمُجتمع.

جدول دُرُوس الشَّيخ ابن رَمزَان:

لفَضِيلَة الشَّيخ -حَفِظَهُ اللهُ- دُرُوسٌ قَيِّمَةٌ نافِعَةٌ كثيرةٌ تشمَل مُعظَم أيَّام الأُسبُوع، وهي:

١- يوم السَّبت يشرح فيه «مَعَارج القُبُول» لحَافِظ حَكَمي، و«تَفسِير ابن كَثِير»، و«القَوَاعِد الفِقهِيَّة» للعَلَّامَة السَّعدِي في جَامع عتبة بن غَزوَان، بالدَّمَّام.

٢- يَوم الأحد، يشرح فيه «رسائل مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب»، و«كتاب التَّوحِيد» بعد صَلَاة المَغرِب، بجَامِع عمر بن عبدِ العَزيز بالجبيل البَلَد.

٣- يَوم الإثنين، يشَرح فيه «عُمدة الأحكَام» لِلإِمَامِ عبدِ الغَنِي المقدسي،

و«أُصُول السُّنَّة» لِلإِمَامِ أحمَد بن حَنبَل.

٤- يَوم الخَمِيس بعد صَلَاة الفَجر بمَسجد سُراقة بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجبيل الصِّناعيَّة في يُدَرِّس من الكُتُب التَّاليَة:

أ- «تَفْسِير القُرآن العَظيم»، للحَافِظ ابنِ كَثِير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ب- «بُلُوغ اَلمَرَامِ مِن أدلَّةِ الأَحكَام»، للحَافِظ ابنِ حَجَر العَسْقَلَانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ج- «الشَّريعة» للأمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ.

د- «عُمدة الفِقه»، للإمام ابن قُدَامَة المَقْدسي رَحِمَهُ اللَّهُ.

هـ- «زَاد المَعَاد في هَدْي خَير العِبَاد»، للعَلَّامة ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا، بالإِضَافَة إلىٰ دروس الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ الأسبوعية في مدن أخرىٰ، كالدَّمَّام، والخفجي، والنعيرية، وقيصومة، والأحساء.

۞ رحلاته وأسفاره في الدعوة ونشر العلم:

سَافر الشَّيخ حَفِظَهُ اللهُ إلىٰ المَغرب، وتُركيا، وأوروبَّا، والهِند، وبنجلاديش، وسريلانكا، وسلطنة عُمَان، والإمَارَات، وغيرهَا من الأمَاكِن في جَمِيع أنحَاءِ العَالَم للدَّعوَة.

وَسَافَرَ إلىٰ المَغرِبِ مع الشَّيخ صَالِح السحيمي للمُشَاركة في دَورَةٍ عِلمِيَّة

بعنوَان «دَورَة الإمَام مَالِك بن أنسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»، حيث دَرَّس في «مُوطأ الإمَامِ مَالِكٍ»، و«الرِّسَالَة» لابن أبي زيد، مع بعض المَحاضَرات المفيدة.

۞ تَزكيات العُلَمَاء لفَضِيلَة الشَّيخ ابن رَمزَان:

أثنىٰ علىٰ الشَّيخ كثيرٌ من العُلَمَاء، نذكُر مِنهم:

١- سَمَاحَة الشَّيخ عَبْد العَزيز آل الشَّيخ، مُفْتي المَمْلكة حَفظَهُ اللهُ، حَيْث حَاضَر الشَّيخ مُحَمَّد بْن رَمزَان، والشَّيخ مُحَمَّد الفِيفِي، يومَ الخَمِيس ١٠/ ٣/ ١٤٣٦هـ، بمَسجِد سَمَاحة المُفْتي -جَامع الإمَام تركي بْن عَبْد الله بالرِّياض- ندوَةً بعُنوَان «خَطر دَاعِش، وجَبهَة النُّصرة، وتَنظِيم القَاعِدَة علىٰ الأمَّة».

وقد عَلَّق سَمَاحَةُ الشَّيخ عَبد العَزِيز آل الشَّيخ عَلَىٰ النَّدوَة، وأجَابَ علىٰ الأسئِلَة، وأثنَىٰ عَلَىٰ الشَّيخَينِ الفَاضِلَين.

٢- فَضِيلَة الشَّيخ العلَّامَة أحمَد بن يَحيَىٰ النَّجمِي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيثُ قَالَ عَن الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَان: «هَذَا مِن رُؤُوس أهلِ السُّنَّة».

٣- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة زيد بن مُحَمَّد بن هَادِي المَدخَلِي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث كَانَ يذكُرُ الشَّيخَ ابن رَمزَان، ويُثنِي عَلَيهِ كَثِيرًا.

٤- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة عُبَيد بن عَبدِ الله الجَابري حَفِظَهُ الله، حيثُ كَانَ

يُثنِي عَلَىٰ الشَّيخ ابن رَمزَان ثَنَاءً عَطِرًا.

وعِندَمَا اتَّصَلَ به سَائِلٌ- وكَانَ من الجُبيلِ- وسَأَلَه الشَّيخُ عُبَيد؛ مِن أَينَ أَنتَ؟ فَقَالَ: مِن الجُبيل! وكَانَ الشَّيخ عبيد مَشغُولًا، فقَالَ له: عِندَكم الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزَانَ، اتَّصِلْ بِهِ، واسأَلْهُ!

٥- فَضِيلَة الشَّيخ العَلَّامَة صَالِح بن سَعد السُّحَيمِي حَفِظَه الله، حيثُ إنَّ ثَنَاءهُ علىٰ الشَّيخ بن رَمزَان مَعْلومٌ مَشهُورٌ.

وقَد شَارَكَه في العَدِيدِ مِنَ الدَّورَات العِلمِيَّة مِنهَا أكثَر مِن دَورَةٍ في إيطَاليَا، ودَورَةٍ في المَغرِبِ.

الكواشف الجلية
للفروق بين السلفية والدعوات
الحزبية البدعية

المقدمة

بِسْمِ الله، والحَمْدُ لله، والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ رسول الله، وآلِهِ وصَحْبه.

أَمَّا بَعْد:

فإنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ في هَذِه الأَعْصَارِ تُوَاجِهُ خَطَرًا عظيمًا، وتُعَاني من محنٍ أليمةٍ بسبب ما يُحَاك ضدَّها من أَعْداءٍ أظهروا لها العداوة السَّافرة من جميع مِلَلِ الكُفْر من يهود، ونَصَارىٰ، وهَنَادكة، ونَحْوهم، أو مِنْ أَعْدَاءٍ عَدَاوتهم خفيَّةٌ من أبناء جلدتنا، وهم المُنَافقون وأَهْل البدع والأهواء.

أمَّا الأَعْدَاء الظَّاهرون من الكفَّار، فإنَّهمْ لا يَعْملون في الأُمَّة الإسلاميَّة كما يكون من أَهْل الضَّلالة والبدع؛ وهَذَا لأنَّ الله وَعَد نَبيَّه ﷺ ألَّا يُهْلك هَذِه الأُمَّة علىٰ أَيْدي أَهْل الكُفْر، وهي الدَّعوَة الَّتي أَجَابها لنبيِّه ﷺ، ولكن لا يَكُونُ ذَلكَ إلَّا مِنْهم في العَدَاوة والبَغْضَاء بَيْنهم[1].

---

(١) أخرج البخاري (٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه قال: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله ﷺ: «**هذا أهون**»، أو: «**هذا أيسر**».

وأخرج مسلم (٢٨٩٠) عن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتىٰ إذا مر =

ولله عَزَّوَجَلَّ في شَأْن أعدائِهِ وأَعْداءِ الإِسْلَام سننٌ لا تَتبدَّل، ولا تَتغيَّر، منها مَا جَاءَ في قولِهِ تَعَالىٰ في سُورَة الأَنْفَال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠].

وفي سورة الطَّارق أيضًا: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق:١٥-١٧].

وقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مخاطبًا نَبيَّه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٧، ١٢٨].

إذًا، إِذَا أرادت هَذِه الأُمَّة ألَّا تكونَ في ضيقٍ ممَّا يَمكر المَاكِرُون، ويُخطِّط المُعْتَدون، فيجب عليها أفرادًا وشعوبًا، حُكَّامًا ومَحْكُومين، علماء وعامَّة - الالتزامُ بالأَمْرَين المَذْكورين في الآية، وهما: التَّقوىٰ والإحسان.

ولكن، ما هي التَّقوىٰ؟

التَّقوىٰ: هِيَ امْتِثَال كلِّ ما أمر الله به من أقوالٍ، وأعمالٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، والانتهاء عَنْ كلِّ ما نَهَىٰ الله عنه من أقوالٍ وأفعالٍ، ظاهرةٍ وباطنةٍ.

هَذِه هي التَّقوىٰ، أن تَجْعل بينك وبين عَذَاب الله وقايةً بامتثال ما أَمَر،

=

بمسجد بني معاوية دخل، فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربَّه طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «**سألت ربِّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدةً، سألت ربِّي ألَّا يهلك أمَّتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألته ألَّا يهلك أمَّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألَّا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيه**».

والانتهاء عمَّا نَهَىٰ[١].

ثمَّ الإحْسَان (وهُوَ أَعْلَىٰ مَرَاتب الدِّين) ومَعْناه كَمَا جَاءَ في حَدِيثِ جِبْريل عليه السلام: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراهُ؛ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ، فَإنَّه يَرَاكَ**»[٢].

فإذا حَقَّقَت الأُمَّةُ الإسلاميَّة التَّقوىٰ والإحسانَ، يَتحقَّق لهَا وَعْدُ الله بألَّا تكُونَ في ضيقٍ ممَّا يَمْكر المَاكِرون، ويُخطِّط المُعْتَدون.

وَلَكن لَوْ نَظَرنا إلىٰ وَاقِع المُسْلِمينَ اليوم لوَجَدنا أنَّ طائفةً كبيرةً من عامَّة المُسْلِمين قَدْ وَقَعتْ فيما يُنَافي التَّقوىٰ والإحْسَان، إمَّا منافاةً جزئيَّةً، أو منافاةً كُليَّةً، فمِنْهُمْ مَنْ وَقَع في صورٍ من الشِّرك الأَكْبَر والأَصْغَر من دعاءٍ لغير الله، وذبحٍ لغَيْر الله، ونذرٍ لغير الله، وحلفٍ بغَيْر الله، ورياءٍ، ونَحْوه من صُوَر الشِّرك الَّتي زَيَّنها لهم الشَّيطانُ، وبَعْضُ عُلَماء السُّوء.

ومنهم مَنْ قَارَف الكبائرَ؛ من رِبَا، وزِنَا، وشُرْب خمرٍ، وخنا[٣]، وفُجُورٍ، وشهواتٍ مُحرَّمةٍ.

ومنهم مَنْ لُبِّس عليه أَمْرُ دينِهِ، وَلبَّس علىٰ غَيْره بشُبُهاتٍ وأهواءٍ وإحداثٍ في دين الله ما أَنْزلَ اللهُ بِهِ سُلْطانًا.

---

(١) **قال ابن كثير** رحمه الله في «**تفسيره**» (١/ ١٦٤): «وأصل التَّقوىٰ التَّوقِّي ممَّا يكره؛ لأنَّ أصلها: «وقوىٰ» من الوقاية...، وقد قيل: إنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه سأل أبيَّ بن كعب عن التقوىٰ، فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلىٰ. قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوىٰ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «**الخنا**»: الفحش في الكلام.

وَالفئةُ الأخطرُ -كما بيَّنَّا- هم أَهْل الشُّبُهات والأَهْوَاء؛ لأنَّه عَنْ طريقهم تأتي البَلَايا الأخرىٰ علىٰ الأُمَّة من شركٍ ومعاصٍ؛ فهم الَّذِينَ يُزيِّنون لجَهَلة المُسْلِمينَ وُقُوعهم في الشِّرك من دعاءٍ للأَمْوَات من الأنبياء والأَوْلِيَاء، وبَعْضهم يُنفِّرونَ أَهْل المَعْصية عن الاسْتقَامَة بسَبَب غُلوِّهمْ في تَكْفير العصاة وفي إِنْكَار المُنْكَرات بِاسْتِبَاحَة دماء هؤلاء العُصَاة.

وطائفة منهم يُزيِّنون المعصية للعامَّة بأَنْ يُسمُّوا المعاصي بغير اسمها: مثل أَنْ يُسمُّوا الزِّنا والخَنَا -من اختلاطٍ فَاجرٍ بين النِّساء والرِّجال- بأنَّه امتزاجٌ للأرواح، وفناءٌ في ذات الله.

ومِثل أَنْ يُسمُّوا الخمرَ بالمَشْروبات الرُّوحيَّة، وأَنْ يُسمُّوا المعازفَ والغناء الفاحش بأنَّه فَنٌّ رفيعٌ يُغذِّي الرُّوح، والأناشيد البدعيَّة بأنَّها أناشيدُ إسلاميَّةٌ.

ومِثل أَنْ يُسمُّوا الرِّبا بالفائدة، ويَعْتبرونه ضرورةً اقتصاديَّةً.

ومِثل أن يُسمُّوا الأحزابَ المُفرِّقة للأُمَّة بأنَّها جماعاتٌ لتَوْحيد المُسْلِمينَ؛ فَيَجْعَلُون التَّفريق تَجْمِيعًا.

ومِثل أن يُطلقوا علىٰ إِعْطَاء البَيْعة لِوُلاة الأَمر المُسلمين في المَعروف أنَّها طاعةٌ للطَّواغيت... إلىٰ آخِر تُرَّهاتِهم الَّتي لا يَتَّسع المقامُ لحَصْرها، فتَتحوَّل عديدٌ من الطَّاعات بشُبُهاتهم إلىٰ معاصٍ، وتَتحوَّل المعاصي إلىٰ قُرُباتٍ يَتقرَّبون بها إلىٰ الله؛ وهَذَا جهلٌ مركبٌ شنيعٌ يُثْبت لك مَدَىٰ خُطُورة أَهْل الأهواءِ، ومِقْدَار الفَسَاد الَّذِي يُحْدثونه في هَذِه الأُمَّة.

فلمَّا خَرَجت الخَوَارج، وَاعْتَزلت المعتزلةُ، ورَفَضت الرَّوافض، فُتِحَ بابُ الفتنة علىٰ هَذِه الأُمَّة، وكَانَت الخِلَافاتُ العقائديَّة هي مِحْوَرُ الخِلَافِ بين هَذِه الفِرَقِ؛ وقَدْ قامت علىٰ تَعصُّباتٍ وتناحراتٍ وتدابراتٍ بجميع أَصْنَافها، وبجميع طَوَائفها، حتَّىٰ أَزَالت دُوَلًا، وأَقَامتْ دُوَلًا، ووَقَعت الطَّوامُّ.

وفي المُقَابل دُعَاة الحقِّ، وهُم السَّلف الصَّالح، والتَّابعون لهم بإحسانٍ: كانوا في مُوَاجهة ذلك الباطل، وهَذِه المُوَاجهة كانت مُوَاجهةً سافرةً واضحةً لا خفاءَ فيها، فَجَابهوهمْ بالبَيَان المُدْعَم بقوَّة الحُجَّة والدَّليل من الكِتَابِ والسُّنَّة، وكَذَلك جَابَهوهُمْ بالسِّنان[1] كما فَعَل عليُّ بن أبي طالبٍ[2]، فهم مُؤيَّدون بالحقِّ؛ سَوَاء كان ببيان القرآن والسُّنَّة، أو بالرَّدع بقوَّة السِّنان.

وهَذِه الفِرَقُ لها أُصُولٌ، ولها تاريخٌ، لستُ الآن بصَدَد بَيَان تاريخ نشأة الفِرَقِ، وتَحْرير أُصُولها؛ ولكن فقط أُشِيرُ إشارةً إلىٰ ما أَحْدَثته هَذِه الفرقُ.

وَلَا تَزَال تلك الطَّوائفُ بأُصُولها العقائديَّة المُحْدَثة قائمةً إلىٰ هَذَا الزَّمان، فلَيْسَ هناك فرقةٌ خَرَجتْ فَانْقَرضتْ، بل لا تزال إلىٰ الآن فرقٌ

---

(١) «**السِّنان**»: كل ما يسنُّ من سيفٍ ورمحٍ وغيرهما، والمقصود: التَّصدِّي بالقوَّة والسِّلاح -إن استدعىٰ الأمر ذلك- لأعداء السُّنة.

(٢) وذلك في قتاله للخوارج؛ فعن طارق بن زيادٍ قال: خرجنا مع عليٍّ إلىٰ الخوارج، فقتلهم، ثم قال: انظروا، فإنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «**إنَّه سيخرج قومٌ يتكلَّمون بالحقِّ لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الحقِّ كما يخرج السَّهم من الرَّميَّة**»، أخرج النسائي في «الكبرىٰ» (٨٥١٣).

تَخْرج، وما من فرقةٍ خَرَجتْ فَعَادَتْ[١]؛ وإِنْ عَادَ المُؤسِّسون فإِنَّ عَقَائدها ومِنْهَاجها الفاسد يَبْقىٰ كما حَدَثَ مِن الأَشَاعِرة؛ حيث عَادَ أبو الحسن الأشعريُّ إلىٰ منهج أَهْل السُّنَّة[٢]، لكن ظَلَّت الأُصُولُ الفاسدة الَّتي وَضَعها في بداية أمره قائمةً يُوَالَىٰ عليها، ويُعَادىٰ عليها، ويُتعصَّب لها بالباطل.

ومن صُوَر التَّفرُّق الَّتي حَدَثَت أيضًا بعد عهد الصَّحابة، هي التَّعصُّبات للمَذَاهب الفقهيَّة، حيث بَلَغت درجةُ الخلافات المذهبيَّة القائمة بين أَصْحَاب المذاهب إلىٰ أَنْ عدَّ بعضُهم نساءَ بعضٍ كنِسَاءِ أَهْل الكتاب في المُنَاكحة، فلا تعجبنَّ عندما تَقْرأ في التَّاريخ ما حَدَث من طَرْد فلانٍ من مسجدٍ، أو من نزعِهِ من إمامة الصَّلاة فيه، أو من إنزال الخطيب من مِنْبرِهِ، أو من طَرْد شخصٍ من مدينةٍ أو من البلاد.

وحدَّثني أَحَدُ عُلَماء الهند أنَّ أَحَدهمْ كان يَضَع يَدَيه علىٰ صَدْره بعد

---

(١) أخرج ابن ماجه (١٧٤) من حديث ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ينشأ نَشْءٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلَّما خرج قرنٌ قطع**»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٤٤).

(٢) من المعلوم أنَّ أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ كان في أوَّل أمره معتزليًّا، ثم رجع عن الاعتزال إلىٰ مذهب ابن كَلَّاب، ولعلَّ أوضح كتاب يعبِّر عن مرحلته الكلابية هو: «اللمع في الرَّد علىٰ أهل الزَّيغ والبدع »، ثم رجع إلىٰ مذهب السَّلف كما في كتابه «الإبانة»، و«مقالات الإسلاميين».

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أكثر من موضع رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري إلىٰ مذهب السلف.

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» مذهب ابن كلاب، ثم أعقبه بمذهب أهل الحديث، وقال بعد ذلك: «وبقولهم أقول».

الرَّفع من الرُّكُوع، فإذا بآخر يضربُهُ علىٰ يَدَيه فيكسرها، بل إنَّ أَحَدهم قال في مسجدٍ: آمين، فتبعه أَحدُهُمْ فرَمَاه بالرَّصَاص، فَقَتله في المسجد، كلُّ هَذَا بسَبَب هَذِه الخلافات المذهبيَّة، وهَذَا التَّعصُّب المُشِين الَّذِي انْتقَدَه جميعُ عُلَماء أَهْل السُّنَّة المُحقِّقين، بل إنَّ الَّذِينَ اتَّبعوا من هَذِه المدارس المذهبيَّة من الأئمَّة الأربعة لهم أقوالٌ ناصعةٌ في نَبْذ التَّقليد والتَّعصُّب الذَّميم؛ وفي الحثِّ علىٰ العودة إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، فمعلومٌ ما أُثِرَ عن الإمام أبي حنيفة: دَعْ ما قلتُ، وانظر إلىٰ من قلتُ بقولِهِ (أي: رسول الله ﷺ)[١].

وكَمَا قال الإمامُ مالكٌ: «كلٌّ يُؤخَذ منه ويردُّ، إلَّا صاحب هَذِه الحُجْرة»[٢]، (أي: رسول الله ﷺ).

وقَالَ الإمامُ الشَّافعيُّ: «إذا صحَّ الحديثُ، فهُوَ مَذْهبي»[٣].

وأمَّا الإمَام أَحْمد، فَقَدْ ضَرَب أَرْوعَ الأَمْثلة في حِرْصِهِ عَلَىٰ اتِّباع الأدلَّة[٤].

---

(١) **قال الإمام أبو حنيفة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي»، ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٦٣).

(٢) المشهور أنَّ هذا الأثر ينسب إلىٰ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ كما نقل ذلك ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢ / ٩١)، ولكنه قد جاء عن غيره ممَّن قبله من أهل العلم، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٠٠) عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأورده العراقيُّ عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «تخريج الإحياء» (١/ ١٥٢).

(٣) «المجموع» للإمام النووي (١/ ٩٢).

(٤) **وقال الإمام أحمدُ أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تقلِّدني، ولا تقلِّد مالكًا، ولا الشَّافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثَّوري، وخذ من حيث أخذوا»، «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ٣٠٢).

ورُغْم كلِّ هَذِه الأَقْوَال النَّاصعة، فَقَدْ وَقَع الاتِّباعُ لهَذِه المَدَارس المَذْهبيَّة في التَّعصُّب المَقِيتِ الَّذِي لا يَزَال في بَعْض البِلَادِ الإسلاميَّة.

ولَوْ عَادُوا للكتاب والسُّنَّة، وَاعْتَصَموا بالأدلَّة لَزَال هَذَا الخلافُ، ولَزَال هَذَا التَّناحر، ولَزَال هَذَا التَّدابر، ولَزَالت هَذِه الشَّتائم والمُنَاحرات، لَوْ عَادُوا إلىٰ الأدلَّة الَّتي رَجَع إليها أَهْلُ العلم، فأَقْوَال الرِّجال يُسْتَشهد لها، ولا يُسْتَشهد بها.

إذًا، بالعَوْدَة إلىٰ الكِتَابِ والسُّنَّة، والاعْتِصَام بِهِما تَزُولُ هَذِه الخلافات العَقَائديَّة والمَذْهبيَّة، بالعودة إليهما في الإلهيَّات، وفي النُّبوَّات، وفي المَعَاد، وفي بَقيَّة أُصُول العَقَائد، وفي الأحكام.

فإنَّ الأُمَّة حتَّىٰ الآن تَتجرَّع مرارة هَذَا الخلاف في العَقَائد والأَحْكَام، فلِذَلِكَ هناك دعوةٌ جادَّةٌ لإِصْلَاح العَقَائد، وإِصْلَاح الأَحْكَام، وذَلكَ بالعَوْدة إلىٰ هَدْي السَّلف الصَّالح، وذَلكَ ما تَدْعو إليه الدَّعوَة السَّلفِيَّة الَّتي إِمَامُها مُحمَّدٌ ﷺ النَّبي الكريم، والرَّسُول العظيم ﷺ.

وفي هَذِه الأَزْمَان خَرَجتْ هَذِه الجَمَاعات الإسلاميَّة الَّتي هي امتدادٌ للفرق المُحْدثة الَّتي فَارَقتْ سبيلَ الصَّحابة، وهَذَا التَّفرُّق قد أَخْبَر به رسولُ الله ﷺ بقَولِهِ: «**وَستَفْترق أُمَّتي علَىٰ ثلَاثٍ وسبعين فرقةً، كُلُّها في النَّار إلَّا واحدة**»(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٢٧).

وهَذِه الوَاحِدَةُ لَهَا مَعَالِمُ، ولَهَا أوصافٌ، هَذِه المعالمُ وهَذِه الأَوْصَاف بَيَّنها النَّبِي ﷺ إجابةً عن سؤال الصَّحابَة لمَّا سألوا: مَنْ هي يا رَسُولَ الله؟ قال: «**الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأَصْحَابي**»(١).

وَانْتبهُوا لكلمة «الْيَوْمَ»، أي: ما كان عليه النَّبِي ﷺ في ذلك اليوم، لا كما يَدَّعي البعض: «الإسلام Today»، يعني: الإسلام اليوم، ومَاذَا عَنْ إِسْلَام أمس؟ ماذا عَنْ إِسْلَام الصَّحابة؟ مَاذَا عنْ السَّلَف الصَّالح؟ لَا يُرِيدُونَ الالتفات إلىٰ ما مَضَىٰ.

قَالَ شاعرُهم: لَا تُحدِّثني بفتوىٰ عُمُرهَا خَمْسون عامًا كما في قَصيدةٍ له بعنوان: «دع الحواشي واخْرُجْ»(٢).

والنَّبِي ﷺ يَقُول: «**الجماعة**»، وَهُمْ يَقولُون: جماعَات، والنَّبِي ﷺ يَقُول: «**وَاحِدَة**»، وهم جَعَلوها أكثر، وَيَقُولُ: النَّاجيةُ واحدةٌ، وَهُم جَعَلُوا كلَّ هَذِه الفِرَقِ ناجيةً، كيف يكون ذلك؟! النَّبِي ﷺ يَقُولُ: جَمَاعةٌ، وهُمْ يَقُولون: جماعات. ويَقُول: طائفةٌ، وهم يقولون: طَوَائف، وهَذِه مُصَادمةٌ ومعارضةٌ لِمَا أتىٰ عَنْ رَسُول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) القصيدة لعائض القرني، يقول فيها:

لا تقـل شـيخي كلامًـا وانتظـر عمر فتوى مثلكم خمسين عامَا

وقد ردَّ عليه ثُلَّةٌ من العلماء، منهم: العلامة أحمد النَّجمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المورد العذب الزلال»، والعلامة زيد المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الإرهاب وآثاره علىٰ الأفراد والأمم».

فإنَّ مَا تَقدَّم مِن التَّناحُر بسبب الخلافات العقائديَّة والمَذْهبيَّة الَّذِي هو ما زال مُسْتمرًّا حتَّىٰ اليوم، امتدَّ ليَشْمل الخلافات المَنْهَجيَّة والدَّعويَّة، وكَانَ من الواجب علىٰ مَنْ وَسِعَهُ الرُّجُوع إلىٰ أبواب الاعتقاد والأَحْكَام في الكتاب والسُّنَّة، أَنْ يَسَعه أيضًا ما أتىٰ عن رَسُول الله ﷺ في الدَّعوَة إلىٰ الله؛ وقَدْ بَيَّن سبحانه لنا سبيل الدَّعوَة إليه، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، أي: قل يا مُحمَّد: هَذِه طريقي أَدْعو إلىٰ الله -وهَذَا فيه تنبيهٌ للإخلاص- علىٰ بصيرةٍ (أي: علىٰ عِلْمٍ)، أنا ومن اتَّبعني: هَذَا فيه تنبيهٌ علىٰ المُتَابعة.

إخلاصٌ، وعلمٌ، ومتابعةٌ حتَّىٰ في الدَّعوَة إلىٰ الله، فالرَّسُول ﷺ هو الَّذِي قال: «**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(١)؛ وهُوَ الَّذِي قال: «**خُذُوا عنِّي مَنَاسككمْ**»(٢)، وكَذَلك هنا هو الَّذِي قال كَمَا أَمَره الله عَزَّوَجَلَّ في بَيَان سبيل الدَّعوَة: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾، أَلَا يَسَعُك ما وَسِعَ مُحمَّدًا ﷺ في دعوتِهِ؟!

ولَيْسَ من سبيل رَسُول الله ﷺ التَّحزُّب والتَّعصُّب للرِّجال؛ وهَذِه الجَمَاعاتُ المُعَاصرةُ مثل حِزْبِ الإِخْوَان وجَمَاعة التَّبليغ، ونَحْوهما هي قائمةٌ عَلَىٰ التَّحزُّب، والتَّعصُّب للرِّجال، بَلْ هي قائمةٌ في حقيقة أَمْرها علىٰ العَقَائد الفاسدة للفرق الثِّنتين والسَّبعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٨) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩٥٢٤) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «حجة النَّبي» (٣١).

لِذَلِكَ، تَجِدُ أَنْصَارها يَتآلَفون ويَتعَاونون مع الشِّيعة، والصُّوفيَّة، والأَشَاعرة والمُعْتزلة؛ ولا يَتسَامحون أبدًا مع السَّلفيِّين (أَصْحَاب الفِرْقَة النَّاجية، أَهْل الحديث والأثر)، فَتَرىٰ منهم الاعتداءَ السَّافرَ علىٰ منهج السَّلَف، وعلىٰ علماء السَّلف، فمن الَّذِي وَصَف العُلمَاء العَامِلين أَمْثَال الشِّنقيطي؛ صاحب «أَضْوَاء البيان»[1]، وَابْن باز، والألبانيِّ، وابن عثيمين بأنَّهم «عُلَماء حَيْضٍ ونِفَاسٍ»، أو أنَّهم «مكتبةٌ قديمةٌ مُتنقِّلةٌ تحتاج إلىٰ تَعْدِيلٍ»؟!

ومَن الَّذِي اعْترَضَ عَلَيهم بأنَّهم لا يَفْقهون شيئًا في وَاقِعِهِمْ؟!

وَمَن الَّذِي قَالَ عَنْهم: إنَّهم «عُلَماءُ سلطةٍ»، يَقُومون بإِصْدَار الفتاوىٰ علىٰ حَسَب أَهْواء الحُكَّام والسَّلاطين؟!

ومَن الَّذِي قَتلَ الشَّيخ جَمِيل الرَّحمن؟!

ومَنِ الَّذِي اعْتَدَىٰ علىٰ الشَّيخ مُحمَّد أَمَان الجَامِي في المَسْجِد؟!

ومَن الَّذِي؟!... ومَن الَّذِي؟!... قائمة طويلة.

فلانٌ يُحَاضِر في منطقةٍ، ثمَّ فجأةً تُطْفَأُ الإضاءة، وفلانٌ أيضًا من أَهْل العلم يُضْرَب في المسجد!! سبحان الله! هل يَدْعو إلىٰ كفرٍ وضلالٍ؟! هل يَدْعو إلىٰ زندقةٍ؟! هل يَدْعو إلىٰ فُجُورٍ؟! هل يَدْعو إلىٰ معصيةٍ؟! هل يَدْعو إلىٰ مزمارٍ؟! بل يَدْعو إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سُنَّةِ رَسُول الله علىٰ مَنْهج السَّلف الصَّالح في بلادٍ قَامَتْ علىٰ هَذَا.

(١) هو العلَّامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَلَكِنْ، في هَذَا الزَّمان غُيِّب المَنْهجُ السَّلفيُّ والدَّعوَة السَّلفِيَّة علىٰ يدي أتباعٍ تَربَّوا علىٰ أَيْدي الحِزْبيِّين، وهُمْ أفراخٌ لهَذِهِ المَنَاهج الحزبيَّة كأَتْبَاع البنَّائيَّة[١]، أو الياساويَّة، أو القطبيَّة، أو السُّروريَّة[٢]، كلُّ هؤلاء هم سبب ما وَقَعت فيه الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم من التَّكفير، ومن التَّفجير، ومن التَّنفير من العُلمَاء والحُكَّام.

إنَّ الَّذِي قَتلَ الشَّيخ جميل الرَّحمن ليس بجاهلٍ، إنَّه رئيس تحرير مجلَّةٍ كانت ذاتَ صوتٍ في الجهاد -زَعَموا- ولكن التَّعصُّب قَدْ أَعْمَىٰ بَصَره، والهَوَىٰ الحزبي قَدْ غلب عليه، فَاقْتَرف ما اقْترفَ من الجُرْم العظيم، لذلك هناك فرقٌ بين الجهاد والإفساد.

علىٰ كلٍّ، هَذَا الاختلافُ قَدْ أخبر عنه النَّبِي ﷺ، وليس الإخبارُ به دليلًا علىٰ جَوَازه، بل هَذَا إخبارٌ بأَمْرٍ قَضَاه الله، فهو إخبارٌ بقَدَرٍ كونيٍّ، لكن ماذا عن الأَمْر الشَّرْعيِّ الوارد في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]؛ فالإِخْبَارُ بالخِلَافِ لَيْس دليلًا علىٰ جَوَازه، بل دليلٌ علىٰ ذَمِّهِ، إذ الأَمْرُ الشَّرْعيُّ واردٌ بالاجتماع لا بالاختلاف، وكلُّ مَنْ

---

(١) يقصد الشَّيخ -حفظه الله- أتباع حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

(٢) **القطبية**: فصيل آخر من فصائل جماعة الإخوان المسلمين ينسب إلىٰ سيد قطب، والمقصود بها: من تأثروا بفكر سيد قطب، ودعوته، ومبادئه.

والسُّروريَّة: فصيل من فصائل جماعة الإخوان المسلمين، ينسب إلىٰ محمد سرور زين العابدين، وهو رجلٌ سوري كان يعيش في الكويت، وعاش في بلاد الحرمين فترةً من الزَّمن، وهو الآن يعيش في بريطانيا.

خالف سبيل السَّلف الصَّالح في العَقَائد، أو في الأَحْكَام، أو المَنَاهج الدَّعويَّة هو مخالفٌ للفرقة النَّاجية، والطَّائفة المَنْصورة؛ فعَلَيه العودة.

وإنَّك لتَعْجَب من بَعْض أهل العلم ممَّنْ يتعاملون مع أَصْحَاب الانحرافات العَقَائديَّة؛ كالمُؤوِّلة الصُّوفيَّة والقُبُوريَّة بقوَّةٍ وشِدَّةٍ، بَلْ وتجد لَهُ مَوَاقف فيها شدَّةٌ مع أناسٍ خَالَفوا في مَسَائل فقهيَّةٍ، لكن تجده ضعيفًا ذا خورٍ مَعَ أَصْحَاب المَنَاهج الدَّعويَّة الحزبيَّة، فهَؤُلَاء الَّذِينَ أَثْنَوا علىٰ هَذِه المَنَاهج والدَّعَوات الحزبيَّة هُمْ أَحَدُ ثلاثةٍ: إمَّا رجلٌ لا يَعْلم حقيقة هَذِه المَنَاهج؟ ولَوْ علمها لَكَان من أشدِّ النَّاس بيانًا لعَوَارها وضَلَالها! وَلَكن أَحْسنوا الظَّنَّ بدُعَاة الفتنة والضَّلال؛ وإمَّا جاهلٌ تَكلَّم بجهلٍ، وإمَّا صاحبٌ لهم، مُنَاصرٌ لهم، فهُوَ يَتكلَّم عن علمٍ ومعرفةٍ.

والشَّباب في هَذَا الخِضَمِّ، وهَذَا البَحْر المُتَلاطم من أَمْواج الفتن، يَنْبغي لهم أَنْ يَحْرصوا علىٰ مَصَادر التَّلقِّي، وهي ثلاثةُ مَصَادر:

أَوَّلًا: المُجَالسة.

ثانيًا: السَّماع.

ثالثًا: القراءة.

وَهَذِه المَصَادر لها ثلاثةُ يَنَابيع:

- يَنْبوع الشَّهوات.
- ويَنْبوع الشُّبُهات.

۞ ويَنْبوع الحقِّ والهدىٰ، وهو يَنْبوع الكتاب والسُّنَّة، وهَدْي السَّلَف الصَّالح.

وقيل: مَنْ جَلَس، جُلِسَ له، ومَنْ تكلَّم، سُمِعَ له، وأقول: ومَنْ كَتَب، قُرِئَ له.

فلَوْ أنَّ شابًّا جَالَس أَهْل الشُّبُهات من أَصْحَاب العَقَائد الفاسدة، أو من أَصْحَاب الدَّعوات الحزبيَّة الضَّالَّة، وَخَالَطهمْ، فَصَاروا عنده هم الجُلَساء، وهُم المَسْموع لهم، وهُم المَقْروء لهم، ماذا تَظنُّون في مثل هَذَا الشَّباب؟ لا شكَّ في أنَّه سَيَتشرَّب قلبه بهَذِه الشُّبهات.

وإنَّ الشَّباب في هَذَا العصر يُعَانون من عَدَم الحرص علىٰ مَعْرفة الحقِّ بدليلِهِ، وهُنَاك مَنْ يحجب وُصُول الحقِّ إليهم، وهَذَا الحجبُ مُتمثِّلٌ في وَسَائل التَّوجيه والإرشاد، سواء كانت في المَكْتبات، أو الإذَاعَات، أو التَّسجيلات، أو البَرَامج أو الفَضائيَّات.

فهَذِه الوَسَائلُ صَارَتْ تستغلُّ من قِبَل الحِزْبيِّين لحَجْب وتَغْييب الدَّعوَة السَّلفِيَّة عن الشَّباب، مع نَشْر غُثَاء وتَرْثرة المُتفَيْهقين والمُتَشدِّقين من دُعَاة الحزبيَّة، ففي هَذِه الأَزْمَان تجد الفضائيَّات تُبَثُّ، والإذاعات تبثُّ، والمجلَّات تُطْبَع، فهَذَا صوفيٌّ، وهَذَا تجميعيٌّ[1]، وهَذَا نبهانيٌّ[2]، وهَذَا بنائيٌّ، وهَذَا قطبيٌّ،

(١) أي: يدعو إلىٰ تجميع الأمَّة وحشدها لأمرٍ سياسي بغضِّ النَّظر عن معتقداتهم ومنهجهم.

(٢) **النَّبهاني**: هو المنتسب إلىٰ تقي الدِّين بن إبراهيم النَّبهاني، الَّذي ولد بقرية إجزم بقضاء حيفا بفلسطين سنة ١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م.

وقد غادر بلاده بعد نكبة ١٩٤٨م، فاستقرَّ ببيروت، وأنشأ عام ١٩٥٢هـ، حزب التحرير الَّذي دعا بزعمه لقيام الدَّولة الإسلاميَّة التي يراها هو، وأخذ يبث دعوته وأفكاره المنحرفة متنقلًا بين الأردن، وسوريَّة، ولبنان، فانخدع به من لا علم عنده، فتابعوه علىٰ سوء معتقده وآرائه =

إلىٰ غَيْر ذَلكَ من فِرَقِ الضَّلال صباحًا ومساءً يَتلقَّىٰ منهم هَذَا الشَّباب، يَسْمع لهم، ويُجَالسهم، ويَقْرأ لهم؛ فَمَا هي إلَّا أيَّامٌ وإذا هو بدعيٌّ من أَهْل البدع.

وفي المُقَابل أيضًا: لَوْ كان مع أَهْل الشَّهوات يقرأ لكُتُب المُجُون، وكُتُب الخلاعة، ويُجَالسهم، ويَسْمع لمزامير هم، ما هي إلَّا أيَّامٌ، وإذْ به عاصٍ مع العُصَاة.

فالشَّبابُ ما بين شهوةٍ وشبهةٍ! ولو أنَّ هَذَا الشَّباب تَبيَّن هَذَا الأمر، فَحَرص علىٰ مَشَاربه، ومَصَادر التَّلقِّي عنده بألَّا يجالس إلَّا علماء السَّلف، وَلَا يَسْمع إلَّا لهم، وَلَا يَقْرأ إلَّا لهم، فَمَا هي إلَّا أيَّامٌ فإذا هو سُنيٌّ سلفيٌّ علىٰ الجادَّة، ولكن بُلِينَا في هَذِه الأَعْصَار بمَنْ يجلس لهَذَا، ويَسْمَع لهَذَا، ويَقْرأ لهَذَا، فتجدُهُ يُجَالس علماء السَّلَف، ويَقْرأ لأَهْل المُجُون، ويَسْتمع لأَهْل الشُّبُهات، فإذا به يصير خليطًا ومزيجًا مُركَّبًا ما بين شَهْوةٍ، وشُبْهةٍ، وسلفيَّةٍ!! فلا تَجِدُ له وجهةً، فتارةً يمانيٌّ مع أَهْل اليمن، وتارةً شاميٌّ مع أَهْل الشَّام، وتارةً مغربيٌّ مَعَ أهل المَغرب، وتارةً مع أَهْل الهند والسِّند، أعني بذَلكَ: أنَّك قَدْ تجده تارةً سلفيًّا، وتارةً تجدُهُ حزبيًّا، وتارةً تجدُهُ شهوانيًّا، وتارةً تجده يُدَافع عن شهوةٍ، وتارةً يُدَافع عن شبهةٍ، ما السَّبب؟

السُّبب: مَصَادر التَّلقِّي، لَوْ كان حريصًا علىٰ نفسِهِ لأَخْرَج نَفْسه من هَذِه

=

التي شذ بها عن سائر الأمة.

وشايع في بدايته الإخوان المسلمين، ثم لم يلبث أن تركهم، وتحول إلىٰ حربهم.

أمضىٰ أواخر حياته في بيروت، وبها توفي عام ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

ومؤلَّفاته التي دوَّن فيها أفكاره تدلُّ علىٰ أنَّه لم يكن علىٰ منهج أهل السُّنة والجماعة، وهذا لا يخفىٰ علىٰ ذي عينين.

الدَّوائر، لذلك كان السَّلَفُ حَذِرِينَ في شأن المُجَالسة، فقالوا: إيَّاكُمْ ومُجَالسة أَهْل البدع، فإنَّها ممرضةٌ للقُلُوب.

وَقَالَ أبو قلابة: «إنِّي أخشىٰ أن يُلبِّسوا عليكم ما عندكم من حقٍّ، أو أن يَغْمسوكم في ضَلَالتهم»(١).

كَذَلك القراءة، كانوا يُحذِّرون من القراءة في كُتُب أَهْل الضَّلال، ومعروفٌ مَوْقف عُلَماء المَغرب من كتاب «إِحْيَاء عُلُوم الدِّين» للغزالي(٢).

وَأمَّا عن السَّماع، فماذا فَعَل مُحمَّد بن سيرين وغَيْره من أَهْل العلم مع أَهْل الأهواء؟

دَخَل رَجُلَان من أَصْحَاب الأهواء علىٰ ابْن سيرين، فَقَالا: يا أبا بكر، نُحدِّثك بحديثٍ؟ قال: لا. قالا: فنَقْرأ عليك آيةً من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومنَّ عنِّي أو لَأقُومَنَّ. قال: فَخَرجا، فقال بعضُ القوم: يا أبا بكرٍ، وما كان عَلَيك أَنْ يقرأ عليك آيةً من كتاب الله تعالىٰ. قال: إنِّي خشيتُ أَنْ يقرءا عليَّ

---

(١) أخرجه الدَّارمي في «سننه» (٤٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٨٧).

(٢) حين وصل كتاب الإحياء إلىٰ المَغرب في أوائل سنة (٥٠٣هـ) تصفَّحه الفقهاء وعلىٰ رأسهم ابن حمدين القاضي، أستاذ القاضي عياض، واتفقوا علىٰ فساده؛ فاستجاب علي بن يوسف ابن تاشفين لرأيهم، وأمر بإحراق الكتاب في مسجد قرطبة علىٰ الباب الغربي بعد إشباعه زيتًا بمحضر الفقهاء وأعيان السُّكَّان؛ قال الإمام الذَّهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مَلك المُرَابطين علي بن يوسف بن تاشفين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان شجاعًا مجاهدًا عادلًا ديِّنًا ورعًا صالحًا، معظمًا للعلماء، مِشَاورًا لهم».اهـ. [«سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٢٤)]، وهو الَّذي: «قام رَحِمَهُ اللَّهُ بإحراق كتاب «الإحياء»، وكان ذلك بإجماع الفقهاء الَّذين كانوا عنده» [انظر: «المعيار المعرب» للونشريسي (١٢/ ١٨٥)].

آيةً، فيُحرِّفانها، فيقرَّ ذلك في قلبي[١].

وقَالَ آخر لأيُّوب السَّختياني: «يا أبا بكرٍ، أَسْأَلك عن كلمةٍ. فقال أيُّوب: ولا نصف كلمةٍ»[٢].

وهَذَا من حِرْصهم علىٰ سَلَامة قُلُوبهمْ؛ لأنَّ الأُذُنَ مدخلٌ لهَذِهِ الشُّبهات إلىٰ القُلُوب، والشُّبَه خَطَّافة، فإنَّها إذا امْتزجَتْ بالنُّفُوس، فإنَّه يصعب إِزَالتُهَا، لذلك كَانَ سفيان يقول: «مَنْ كانت عنده شبهةٌ، فلا يَعْرضها علَىٰ إخْوانِهِ».

لِذَلِكَ، أشدُّ هَذِه المصائب هي الشُّبُهات، هي أشدُّ من الشَّهوات؛ وإنَّك لتَعْجبُ من شخصٍ يأتي أناسًا مُجْتمعينَ علىٰ مَجُونٍ، أو معصيةٍ، أو مُشَاهدة فسقٍ، أو سَمَاع مزمارٍ، فيَغْضب، فيغلق هَذَا التِّلفاز، أو ذاك المذياع، ثمَّ يأتي بكتابٍ من كُتُب الضَّلال، فيجعل مَجْلسهم -بزعمِهِ- مجلسَ خيرٍ، وإذا به يَصْرفُهُمْ من معصيةٍ إلىٰ بدعةٍ، بأَنْ يقرأ كتابات أَهْل الباطل من المُتقدِّمين، أو مِنَ المُتأخِّرين، سواء كان من أَهْل الشِّرك، أو سواء كَانَ مِنْ أَهْل التَّأويل، أو سواء كان من الجَمَاعات العصريَّة، من الإخوان التَّكفيريَّة، أو التَّبليغ الصُّوفيَّة، فيزعم أنَّه نَقَلهم عن المعصية، وهُوَ نَقَلهمْ من رمضاء إلىٰ نارٍ، لكن زُيِّنَ له سوءُ عَمَله فرآه حسنًا، كَمَا قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٤﴾﴾ [محمد:١٤] ، ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢١٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢١٨).

بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤]، وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الغاشية:١-٣].

ولَوْ أنَّه أتىٰ بكتابٍ من كُتُب أَئمَّة السَّلف في العقيدة، أو الحديث، أو التَّفسير، أو نَحْوها من العُلُوم النَّافعة القائمة علىٰ المَنْهج الصَّحيح لصرف مَجْلسهم من معصيةٍ إلىٰ سُنَّةٍ وطاعةٍ.

وهَذِه الأَحْزَاب العصريَّة قَد الْتقَتْ على تَحْقيق هَدَفين:

الأَوَّل: التَّخليط بين السُّنَّة والبِدْعَة.

والثَّاني: التَّجميع بغير تربيةٍ؛ فهم يُحبُّون هَذَا التَّجميع والتَّساهل، هَذَا الَّذِي هم يَرْغبون فيه؛ لأنَّه يُحقِّق لهم مَآربَهم الحزبيَّة، فلذلك تجد الشَّباب الَّذِي يَتلقَّىٰ عن هَذِه الأحزاب يَكُون عنده تخليطٌ في مَسَائل العقيدة والمَنْهج؛ وهَذَا بسَبَب تَغْييب الحقِّ عَنْهم، وتَلْويث مَصَادر التَّلقِّي؛ فهُمْ لا يَسْتطيعون أَنْ يُميِّزوا بين أَهْل الحقِّ، وأَهْل الباطل.

وَالسُّؤال الَّذِي يَطْرح نفسه: كَيْف يُعْرَف أهل الحقِّ من أَهْل الباطل؟

لا بُدَّ من مَعْرفة الحُدُود الفاصلة بين أَهْل السُّنَّة وأَهْل البدعة، لا بُدَّ من صفاتٍ كاشفةٍ! أي: لا بُدَّ من كَوَاشفَ جليَّةٍ لبَيَان الكواشف بين الدَّعوَة السَّلفِيَّة والدَّعوات السِّياسيَّة الحزبيَّة؛ حيث إنَّ كثيرًا من أَصْحاب الدَّعوات المنحرفة الكائنة علىٰ السَّاحة اليوم يَدَّعي أنَّه علىٰ الدَّعوَة السَّلفِيَّة!

فبالأمس كَانَ أَصْحَاب هَذِه الدَّعوات يَرْفعون شعار: «حتميَّة المواجهة»،

وبالأمس كَانَتْ «صناعة الموت»، ثمَّ كانت «نظرة اعتباريَّة في القضيَّة الجزائريَّة»، وبالأمس: «فَفِرُّوا إلىٰ الله»، ومن قبل: «أَسْبَاب سُقُوط الأندلس»، و«أَسْبَاب سُقُوط الدُّول»، وهكذا ضلالٌ، تشويهٌ، شحنٌ للشَّباب، واليوم إذا بِهِمْ هكذا يتَمسَّحون بالدَّعوَة السَّلفِيَّة؛ وهناك فرقٌ بَيْن مَنْ غَيَّر أُصُولَه، ومَنْ غَيَّر طَرِيقَ وُصُوله!

والشَّباب قَدْ أصابتهم الحيرةُ من الطَّرح الموجود، فهو يريد الحقَّ، لكن يَلْزم لمَنْ يريد الحقَّ أَنْ يعرفَ الحقَّ بدليلِهِ، وأَنْ يعرفَ الحقَّ بالحقِّ، ولا يكون ذلك بالخلط، فإنَّ الرِّجال يُعْرَفون بالحقِّ، ولا يُعْرَفُ الحقُّ بالرِّجال، وهَذِه العبارة من نفيس كَلَام السَّلف؛ لأنَّ الخلفَ يَخْتلفون، والرِّجال يَتغيَّرون، ولكنَّ الحقَّ ثابتٌ، فلا يموت بمَوْت الرِّجال، ولذَلكَ قيل: اعْرِفِ الحقَّ، تَعْرف أَهْلَه.

إذًا، ما هي الكواشف الجليَّة؟

هي عَشْرةُ كواشف كَمَا يَلي:

الكَاشِفُ الأوَّل: المَوْقف من الاعتقاد في صِفَاتِ الله.

الكَاشِفُ الثَّاني: المَوْقف من الشِّركيَّات.

الكَاشِفُ الثَّالث: المَوْقف من الإمامة.

الكَاشِفُ الرَّابع: المَوْقف من الجَمَاعة.

الكَاشِفُ الخامس: المَوْقف من الجهاد.

الكَاشِفُ السَّادس: المَوْقف من الدِّماء المَعْصومة بالإيمان والأمان.

الكَاشِفُ السَّابع: المَوْقف من العُلمَاء، ومَنْ هم العُلمَاء؟

الكَاشِفُ الثَّامن: المَوْقف من البدعة وأَهْلها.

الكَاشِفُ التَّاسع: المَوْقف من التَّكفير.

الكَاشِفُ العاشر: المَوْقف من عقيدة الوَلَاء والبَرَاء.

الكاشف الأول
الموقف من الاعتقاد في صفات الله

أمَّا عن الكاشف الأوَّل: وهُوَ المَوْقفُ من الاعْتقَاد في صِفَاتِ الله؛ فإنَّ المرءَ لو الْتزَمَ مَنْهج السَّلف في الاعتقاد في صفات الله؛ مع براءتِهِ ممَّا عليه المُؤوِّلة والمُشبِّهة، والمُفوِّضة، والمعتزلة، والأشاعرة، والجهميَّة، وَسَائر الملل الَّتي زَاغَتْ في الأَسْمَاءِ والصِّفاتِ؛ فإنَّه يكون قَدْ حقَّق أحد رَكَائز الدَّعوَة السَّلفِيَّة المُنَافية للدَّعوات الحزبيَّة[1].

---

(١) سئل شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية قدَّس الله روحه:

ما قولكم في مذهب السَّلف في الاعتقاد، ومذهب غيرهم من المتأخِّرين؟ ما الصَّواب منهما؟ وما تنتحلونه أنتم من المذهبين؟ وفي أهل الحديث: هل هم أولىٰ بالصَّواب من غيرهم؟ وهل هم المرادون بالفرقة النَّاجية؟ وهل حدث بعدهم علوم جهلوها وعلمها غيرهم؟

فأجاب: الحمد لله، هذه المسائل بسطها يحتمل مجلَّدات، لكن نشير إلىٰ المهم منها، والله الموفِّق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقد شهد الله لأصحاب نبيِّه ﷺ، ومن تبعهم بإحسانٍ بالإيمان؛ فعلم قطعًا أنهم المراد بالآية الكريمة، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

=

=

وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

فحيث تقرَّر أنَّ من اتَّبع غير سبيلهم ولَّاه الله ما تولَّىٰ، وأصلاه جهنَّم، فمن سبيلهم في الاعتقاد: «الإيمان بصفات الله تعالىٰ وأسمائه»، التي وصف بها نفسه، وسمَّىٰ بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو علىٰ لسان رسوله من غير زيادةٍ عليها، ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين؛ ولا سمات المحدِّثين بل أمرُّوها كما جاءت، وردُّوا علمها إلىٰ قائلها؛ ومعناها إلىٰ المتكلم بها.

وقال بعضهم: ويروىٰ عن الشَّافعي: «آمنت بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مراد رسول الله»، وعلموا أنَّ المتكلِّم بها صادقٌ لا شكَّ في صدقه؛ فصدَّقوه ولم يعلموا حقيقة معناها، فسكتوا عمَّا لم يعلموه، وأخذ ذلك الآخر عن الأوَّل، ووصَّىٰ بعضهم بعضًا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أوَّلهم، وحذَّروا من التَّجاوز لهم، والعدول عن طريقتهم، وبيَّنوا لنا سبيلهم ومذهبهم، ونرجو أن يجعلنا الله تعالىٰ ممَّن اقتدىٰ بهم في بيان ما بيَّنوه؛ وسلوك الطَّريق الَّذي سلكوه.

والدَّليل علىٰ أنَّ مذهبهم ما ذكرناه: أنَّهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها؛ غير مرتاب فيها؛ ولا شاك في صدق قائلها، ولم يفسروا ما يتعلَّق بالصِّفات منها، ولا تأوَّلوه، ولا شبَّهوه بصفات المخلوقين، إذ لو فعلوا شيئًا من ذلك لنقل عنهم، ولم يجز أن يكتم بالكليَّة، إذ لا يجوز التَّواطؤ علىٰ كتمان ما يحتاج إلىٰ نقله ومعرفته لجريان ذلك في القبح مجرىٰ التَّواطؤ علىٰ نقل الكذب، وفعل ما لا يحل، بل بلغ من مبالغتهم في السُّكوت عن هذا: أنَّهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفِّه تارةً بالقول العنيف، وتارةً بالضَّرب، وتارةً بالإعراض الدَّالِّ علىٰ شدَّة الكراهة لمسألته.

ولذلك، لمَّا بلغ عمر رضي الله عنه أنَّ صبيغًا يسأل عن المتشابه، أعد له عراجين النَّخل، فبينما عمر يخطب، قام فسأله عن: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾ [الذاريات:١، ٢]، وما بعدها، فنزل عمر فقال: «لو وجدتك محلوقًا لضربت الَّذي فيه عيناك بالسيف»، ثم أمر به فضرب ضربًا شديدًا، وبعث به إلىٰ البصرة، وأمرهم ألَّا يجالسوه، فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسًا إلَّا قالوا: «عزمة أمير المؤمنين»، فتفرَّقوا عنه حتىٰ تاب وحلف بالله

=

=

ما بقي يجد ممَّا كان في نفسه شيئًا، فأذن عمر في مجالسته، فلمَّا خرجت الخوارج، أتي فقيل له: هذا وقتك، فقال: لا نفعتني موعظة العبد الصالح. [«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣/ ٤١٣)].

ولمَّا سئل مالك بن أنس -رحمه الله تعالىٰ- فقيل له: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، كيف استوىٰ؟ فأطرق مالكٌ، وعلاه الرَّحضاء (يعني: العرق) وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إلىٰ السَّائل، وقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء». وأمر به فأخرج. [أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)].

ومن أوَّل الاستواء بالاستيلاء، فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك، وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستواء شافٍ كافٍ في جميع الصِّفات، مثل: النُّزول، والمجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في مثل النُّزول: «النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وهكذا يقال في سائر الصِّفات، إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسُّنة.

وثبت عن محمد بن الحسن (صاحب أبي حنيفة) أنه قال: «اتفق الفقهاء كلهم من الشَّرق والغرب: علىٰ الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثِّقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ من غير تفسيرٍ، ولا وصفٍ، ولا تشبيه، فمن فسَّر شيئًا من ذلك؛ فقد خرج ممَّا كان عليه النَّبي ﷺ، وفارق الجماعة، فإنَّهم لم يصفوا ولم يفسِّروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسُّنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهمٍ فقد فارق الجماعة»، انتهىٰ. [أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢١٣) (٥٧٣)].

فانظر -رحمك الله- إلىٰ هذا الإمام كيف حكىٰ الإجماع في هذه المسألة، ولا خير فيما خرج عن إجماعهم، ولو لزم التَّجسيم من السُّكوت عن تأويلها لفرُّوا منه، وأوَّلوا ذلك؛ فإنَّهم أعرف الأمَّة بما يجوز علىٰ الله، وما يمتنع عليه.

وثبت عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصَّابوني أنه قال: «إنَّ أصحاب الحديث المتمسِّكين بالكتاب والسُّنة يعرفون ربهم -تبارك وتعالىٰ- بصفاته الَّتي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله؛ علىٰ ما وردت به الأخبار الصِّحاح، ونقله العدول الثِّقات، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيِّفونها تكييف المشبه، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه

=

=

تحريف المعتزلة والجهميَّة، وقد أعاذ الله «أهل السنة» من التَّحريف والتَّكييف، ومنَّ عليهم بالتَّفهيم والتَّعريف حتَّىٰ سلكوا سبيل التَّوحيد والتَّنزيه، وتركوا القول بالتَّعطيل والتَّشبيه، واكتفوا بنفي النَّقائص بقوله عزَّ من قائل: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]».

وقال سعيد بن جبير: «ما لم يعرفه البدريُّون فليس من الدِّين».

وثبت عن الرَّبيع بن سليمان أنه قال: سألت الشَّافعيَّ -رحمه الله تعالىٰ- عن صفات الله تعالىٰ، فقال: «حرامٌ علىٰ العقول أن تمثِّل الله تعالىٰ، وعلىٰ الأوهام أن تحدَّه، وعلىٰ الظُّنون أن تقطع، وعلىٰ النفوس أن تفكِّر، وعلىٰ الضَّمائر أن تعمِّق، وعلىٰ الخواطر أن تحيط، وعلىٰ العقول أن تعقل إلَّا ما وصف به نفسه، أو علىٰ لسان نبيِّه»، عليه الصَّلاة والسَّلام.

وثبت عن الحسن البصري أنَّه قال: «لقد تكلَّم مطرِّف علىٰ هذه الأعواد بكلامٍ ما قيل قبله، ولا يقال بعده. قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: «الحمد لله الَّذي مِنَ الإيمان به: الجهلُ بغير ما وصف به نفسه».

وقال سحنون: «من العلم بالله: السكوت عن غير ما وصف به نفسه». [«ذم التأويل» لابن قدامة (ص٤؟)].

وثبت عن الحميدي أبي بكر عبد الله بن الزُّبير، أنه قال: «أصول السنة» -فذكر أشياء- ثم قال: «وما نطق به القرآن والحديث، مثل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [المائدة:٦٤]، ومثل: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه، ولا نفسِّره، ونقف علىٰ ما وقف عليه القرآن والسُّنة، ونقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه:٥]، ومن زعم غير هذا فهو جهميٌّ». [«أصول السنة» للحميدي (ص٤)].

فمذهب السَّلف -رضوان الله عليهم- إثبات الصِّفات، وإجراؤها علىٰ ظاهرها، ونفي الكيفية عنها؛ لأنَّ الكلام في الصِّفات فرعٌ عن الكلام في الذَّات، وإثبات الذَّات إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصِّفات.

=

=

وعلىٰ هذا مضىٰ السلف كلهم، ولو ذهبنا نذكر ما اطَّلعنا عليه من كلام السَّلف في ذلك؛ لخرجنا عن المقصود في هذا الجواب، فمن كان قصده الحق وإظهار الصَّواب؛ اكتفىٰ بما قدَّمناه، ومن كان قصده الجدال، والقيل والقال، والمكابرة لم يزده التَّطويل إلَّا خروجًا عن سواء السَّبيل، والله الموفِّق.

وقد ثبت ما ادَّعيناه من مذهب السلف -رضوان الله عليهم- بما نقلناه جملةً عنهم وتفصيلًا، واعتراف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك، ولم أعلم عن أحدٍ منهم خلافًا في هذه المسألة، بل لقد بلغني عمَّن ذهب إلىٰ التَّأويل لهذه الآيات والأخبار من أكابرهم: الاعتراف بأنَّ مذهب السَّلف فيها ما قلناه.

ورأيته لبعض شيوخهم في كتابه قال: «اختلف أصحابنا في أخبار الصِّفات، فمنهم من أمرَّها كما جاءت من غير تفسيرٍ، ولا تأويلٍ مع نفي التَّشبيه عنها؛ وهو مذهب السَّلف».

فحصل الإجماع علىٰ صحَّة ما ذكرناه بقول المنازع، والحمد لله.

وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، أنَّه قال: «عليك بلزوم السُّنة فإنَّها لك -بإذن الله- عصمة، فإنَّ السنة إنَّما جعلت ليستنَّ بها، ويقتصر عليها، وإنَّما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزَّلل والخطإ، والحمق والتَّعمُّق؛ فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم، فإنَّهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كفُّوا، ولهم كانوا علىٰ كشفها أقوىٰ، وبتفصيلها لو كان فيها أحرىٰ، وإنَّهم لهم السَّابقون، وقد بلغهم عن نبيِّهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثَّلاثة؛ فلئن كان الهدىٰ ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدث حدثٌ بعدهم فما أحدثه إلَّا من اتَّبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره علىٰ ما تلقَّوه عن نبيِّهم، وتلقَّاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي؛ وتكلَّموا منه بما يشفي، فمن دونهم مقصِّر؛ ومن فوقهم مفرِّط، لقد قصر دونهم أناسٌ فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنَّهم فيما بين ذلك لعلىٰ هدًىٰ مستقيم». [«مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٤/ ١- ٨)].

الكاشف الثاني
الموقف من الشركيات

وأمَّا عن الكاشف الثَّاني: وهو الموقف من الشِّركيَّات المُتمثِّلة في الدُّعاء، وَالاسْتِغَاثَة، والطَّواف، والنَّذْر، والذَّبْح لغير الله، وهَذَا هو الشِّرْك الأكبر المُنَاقض لتَوْحيد العبادة (التَّوْحِيد الَّذِي أَرْسل به الرُّسُل، ومن أجلِهِ أُنْزِلَتِ الكُتُب)، فالمَوْقفُ من التَّحذير من هَذِه الصُّور الشِّركيَّة يَكْشِفُ لَكَ عَنْ حقيقة دَعْوة فُلَانٍ، أو عِلَّانٍ، ولَيْسَتْ فقط هَذِه هي السَّلفِيَّة[(١)].

---

(١) أي: ليست الدَّعوة إلىٰ التَّحذير من الصُّور الشِّركيَّة هي فقط السَّلفيَّة، بل السَّلفيَّة هي الدَّعوة إلىٰ الدِّين كله بشموله، وأوَّلها الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد الَّذي هو أساس الإسلام، ولبُّه، وقاعدته التي عليها يبنىٰ، ومنها ينطلق.

وحقيقة التَّوحيد: أن تجعل لله جميع عبادتك من دعاءٍ، ورجاءٍ، ورغبةٍ، ورهبةٍ، واستعاذةٍ، واستغاثة، وذبحٍ، ونذرٍ، وغير ذلك.

فمن دعا غير الله طالبًا منه جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ، وزعم أنَّه يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ وأنه يعلم الغيب الَّذي لا يعلمه إلَّا الله، أو استعاذ به، أو استغاث به ملتجئًا إليه، وراجيًا منه ما لا يرجىٰ إلَّا من الله؛ أو نذر له، أوذبح له، علىٰ اسمه؛ فإنَّه قد أشرك شركًا أكبر يخرجه من الإسلام إلَّا أن يعود بتوبةٍ صادقة، وعقيدةٍ نقيَّةٍ أنَّه لا يجلب النَّفع إلَّا الله؛ ولا يدفع الضُّر إلَّا الله؛ ولا يعلم الغيب إلَّا الله؛ وأنَّ المخلوقين جميعًا لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا.

=

=

فعلىٰ قدر انشغال الدَّاعية بالتَّوحيد ودعوة النَّاس إليه، ومعالجته للشِّركيَّات الواقعة، يكون قريبًا من المنهج السَّلفي؛ وهذا يجب ابتداءً علىٰ جميع الدُّعاة؛ فلا يبدؤوا بتعليم النَّاس المسائل السِّياسيَّة والحركيَّة، خادعين النَّاس بأنَّ مشاكلهم لا تحلُّ إلَّا بالثَّورة علىٰ الحكَّام وعزلهم؛ متناسين أنَّ الصَّلاح لا يكون إلَّا بتغييرٍ من النَّاس المحكومين ابتداءً، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وهذا لا يكون بغير التَّوحيد دعوة الأنبياء والمرسلين، وأوَّل واجبٍ علىٰ العبيد.

الكاشف الثالث
الموقف من الإمامة والبيعة

والدَّعوَة السَّلفِيَّة لا تَقْتصر فقط علىٰ الاهتمام بالدَّعوَة إلىٰ الاعتقاد الصَّحيح في الأسماء والصِّفات، وإِلَىٰ إِفْرَاد الله بالعبادة؛ لأنَّ هناك أَقْوَامًا يَحْرصون أشدَّ الحرص علىٰ هَذِه المَسَائل، ولَكنَّهمْ فرَّطوا في البيعة للإمام المُسْلِم الممكن، فَوَافقوا الخَوَارج، فإنَّ الخوارجَ لَيْسَ عندهم طوافٌ، ولا ذبحٌ لغير الله، ولا خللٌ في الأَسْمَاء والصِّفات، لكنَّ الأمرَ الَّذِي جَعَل عليَّ بن أبي طالبٍ يُقَاتلهم أنَّهم خَرَجوا عن السَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر.

إذًا، هَذَا هو الكاشف الثَّالث: المَوْقف من الإمامة والبيعة؛ والَّتي تَعْني الموقف من الإمام (أي: الحاكم أو السُّلطان) المُسْلِم، وما له من حُقُوقٍ؛ فأَهْل السُّنَّة لا يَشْترطون في وليِّ الأمر أن يكون معصومًا، فلَمْ يشترط ذلك إلَّا الرَّافضة، فهَذِه الأحزابُ المُعَاصرة الَّتي أَبَتْ أَنْ تُعْطي البيعةَ لوليِّ الأمر بحُجَّة كونه فاسقًا، أو جائرًا، قَدْ وافقوا الرَّافضة.

وَلِذَلِكَ، جَرَىٰ السَّلف علىٰ ذِكْرِ هَذَا المُعْتقَد في الإمامة في دَوَاوين العَقَائد، بقَوْلهم: ونَرَىٰ السَّمع والطَّاعة في المعروف لوليِّ الأمر، برًّا كان أو فاجرًا، وما هو الفُجُور؟

لا شكَّ أنَّ الفُجُورَ منافٍ للبرِّ والعدل، فلَمْ يشترط السَّلف في الإمام أَنْ يكون برًّا عادلًا كَيْ يُطَاع في المعروف، ويحرم الخُرُوج عليه.

ولِذَلِكَ، فإنَّ المَوْقفَ من مسألة الإمامة ومَسْألة البيعة، هو من الكواشف الجليَّة للشَّابِّ من هَذَا التَّخبُّط، وهو ميزانٌ يستطيع أن يزنَ به الفِرَقَ والأفرادَ والجَمَاعات من المنتسبين للعلم والدَّعوَة؛ وهَذِه المسألةُ مسألةٌ دقيقةٌ، وتَحْتاج إلىٰ عنايةٍ وتَجرُّدٍ عن الهوىٰ.

هَذِه أُمُورٌ غُيِّبَتْ عن الشَّباب، ومَنْ تَكلَّم فيها، طُعِنَ فيه، ونُسِبَ إلىٰ المُدَاهنة والمُلَاينة، وما هَذَا التَّغيُّب إلَّا لأمرٍ خفيٍّ يُرَاد منه ما يُرَاد.

فتجد بَعْضهم يذهب للتَّنظيمات، ويَذْهب لِمَا يُسمَّىٰ بالجهاد أَوْ غيره، ويَرْجع وفي عُنُقه خمسٌ أو ستٌّ بيعاتٍ، أو يرجع إلىٰ مجتمعِهِ وَلَا يرىٰ لوليِّ أمره بيعةً! ما هو حكم الشَّرْع في هَذِه البَيْعات؟ وما معنىٰ البيعة؟ وما هي أحكام البيعة؟[1].

---

(١) **المقصود بالبيعة**: إعطاء العهد علىٰ الطَّاعة؛ كأنَّ المبايع يعاهد أميره علىٰ أن يسلم النَّظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيءٍ من ذلك، ويطيعه فيما يكلِّفه به من الأمر علىٰ المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير، وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده تأكيدًا للعهد، فأشبه فعل البائع والمشتري، فسمِّي بيعةً، مصدر باع، وصارت البيعة مصافحةً بالأيدي، وهذا مدلولها في عرف اللُّغة ومعهود الشَّرع.

ولا يكون ذلك شرعًا وعرفًا إلَّا للحاكم المسلم الممكن الَّذي يمتلك من الصَّلاحية والمسؤوليَّة ما يجعله قادرًا علىٰ إقامة الدِّين، وإنفاذ الأحكام، وتنفيذ العقوبات الشَّرعيَّة، وإعلان الحرب، والجنوح إلىٰ السِّلم، وما إلىٰ ذلك ممَّا هو مختصٌّ بالحاكم المسلم في أيِّ بلدٍ من البلدان الإسلاميَّة.

=

=

فالبيعة -إذًا- تعني إعطاء العهد من المبايع علىٰ السَّمع والطَّاعة للأمير في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعدم منازعته الأمر، وتفويض الأمور إليه.

وقال الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «السَّيل الجرار»** (٤/ ٤٨٠، ٤٨١):

«طريقها (أي: البيعة) أن يجتمع جماعةٌ من أهل الحل والعقد، فيعقدون له البيعة، وأنَّ المعتبر هو وقوع البيعة له (يعني: الإمام) من أهل الحلِّ والعقد، فإنَّها هي الأمر الَّذي يجب بعده الطَّاعة، وتثبت به الولاية، وتحرم معه المخالفة، وقد قامت علىٰ ذلك الأدلَّة، وثبتت به الحجَّة».

ثمَّ قال في (٤/ ٤٨٢): «قد أغنىٰ الله عن النُّهوض، وتجشُّم السَّفر، وقطع المفاوز ببيعة من بايع الإمام من أهل الحلِّ والعقد، فإنَّها ثبتت إمامته بذلك، ووجبت علىٰ المسلمين طاعته، وليس من شرط ثبوت الإمامة أن يبايعه كلُّ من يصلح للمبايعة، ولا من شرط الطَّاعة علىٰ الرَّجل أن يكون من جملة المبايعين، فإنَّ الاشتراط في الأمرين مردودٌ بإجماع المسلمين؛ أوَّلهم وآخرهم، سابقهم ولاحقهم».

الكاشف الرابع
الموقف من الجماعة

ومِنَ الكواشف لبَيَان مَنْ كان علىٰ الدَّعوَة السَّلفِيَّة، مَفْهوم الجَمَاعة المُسْلِمة، فهُنَاك مَنْ غَيَّبَ معنىٰ الجماعة، بل غَيَّبَ الأُمَّةَ الإسلاميَّة بأَسْرها، وذَلكَ بقولِهِ: الأُمَّة الغائبة، هَكَذا يُغيِّب الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ بأجمع؛ وآخر يقول: جميعُ الرَّايات وجميعُ النُّظم كافرةٌ، هكذا تكفيرٌ بالجملة للأُمَّة الإسلاميَّة، وذَاكَ يَطْعن في اجتماع أَهْل الإسلام، وفي جَمَاعة المُسْلِمينَ، فلا يرىٰ تلك الجَمَاعة إلَّا حزبه، وَلَا يرىٰ تلك الجَمَاعة إلَّا تنظيمه، فهَذَا هو مَفْهوم الجماعة عند هَذِه الفِرْقَة، وهَذَا هو مفهومُهُ عند هَذِه الطَّائفة.

فكلٌّ منهم صَنَّفَ جَمَاعة المُسْلِمين علىٰ حَسَب هواه حتَّىٰ جَعَلوها جماعاتٍ مُتعدِّدةً؛ وهَذَا هو الكاشف الرَّابعُ من الكواشف الجليَّة لبيان حال المُخَالفين للدَّعوة السَّلفِيَّة[1].

---

(١) أمر الله ﷻ بالتمسك بدينه القويم، والاعتصام بحبله المتين؛ فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٨].

ولما ذكر رسول الله ﷺ الفتن التي يتعرض لها المُسْلِم في آخر الزمان سئل: ما المخرج منها؟ قال: «**تلزم جماعة المُسْلِمين وإمامهم**». [أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) =

=

من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ومفهوم الجماعة في الإسلام: التمسك بما عليه جماعة المُسْلِمين، وعدم التفرق والتنازع، ووجوب الطاعة وعدم الخروج علىٰ إمام المُسْلِمين، قال رسول الله ﷺ: «فعليك **بالجماعة، فإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» [أخرجه أبو داود (٥٥٦) من حديث أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧)]، وكما في حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقوله ﷺ: «**تلزم جماعة المُسْلِمين وإمامهم**» [أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة. -وقد تقدم قريبًا].

ومن النُّصوص التي تدل علىٰ وجوب طاعة وليِّ الأمر وعدم الخروج عليه، وعدم مفارقة جماعة المُسْلِمين ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِي ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات مِيتةً جاهليَّة**» [أخرجه مسلم (١٨٤٨)].

وكذلك يطلق لفظ الجماعة علىٰ المنهج الَّذِي ينبغي علىٰ الجماعة التمسك والعمل به، والَّذِي منه الاجتماع علىٰ الأصول العامَّة من القرآن والسنة، مثل قوله ﷺ: «**لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيِّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» [أخرجه مسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود].

الكاشف الخامس
الموقف من الجهاد

أيضًا من الكواشف الجليَّة: مَفْهوم الجهاد؟ ومتىٰ يَكُونُ الجهاد؟ وماذا عن الرَّاية؟ وخَلْف مَنْ؟ وما المَقْصدُ من الجهاد؟ ففرقٌ بين الجهاد وبين عَمليَّات الإفساد![1].

---

(١) **قال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد في رسالة له بعنوان: «مفهوم الجهاد في الإسلام وشروطه وضوابطه»:**

«إنَّ الحديث عن الجهاد حديث مهم، لأنَّه دخلَهُ مَا دخَلهُ مِن اللَّبس وسُوء الفَهْم، نتيجة لقِلَّة العِلْم والبعد عن التَّحقيق، وللبعد عن التَّواصل مع أهل العِلْم الأثبات المُحقِّقين، ومِن هنا حصَل مَا حصل مِن انحراف في فَهْم المُراد مِن الجهاد، وأعْقَب هَذَا الفهم المنحرف سلوكًا منحرفًا.

لِذَا، سوف يكون الحديث والنظر في كلام أهل العلم، وفي حديثهم عن الجهاد من حيث: تعريفه، وشروطه، وضوابطه، ومواكبة أهل العلم -رحمهم الله- لتَاريخ الأُمَّة كلَّها، ومعرفتهم بأحْوَالها وظروفها، ومَواطِن قوَّتها وضَعْفها، كل ذلك بَيَّنهُ ديننا، فدِينُنا أكْمَله ربُّنا ﷻ ومَا أكْمَله فلَا ينقص أبدًا.

ولهَذَا، سَوْف يكون الحديث عن تَعْريف الجِهَاد، وأقْسَامه، وأحْكَامه، ومرَاتبه، وفَضْله، والحِكْمة مِن مَشْروعِيَّته، وشُروطه، وموَانعه، والمُخالفَات والشُّبَهِ التي وردَتْ، ومرَاحِل التَّشْريع.

تعريف الجهاد:

=

=

الجهاد لغةً: مأخوذٌ مِن الْجَهْد أو الْجُهْد [اللسان: جهد]، وهو بذل الوُسْع، والعمل ببذل الطَّاقة.

أمَّا تعريفه الاصْطِلاحي: إذا أطلق في الغَالب ينصرف إلىٰ جِهَاد الكُفَّار وقِتَالهم، مِن المعاندين، والمُحاربين، والمُرتدِّين، والبُغَاة، ونحوهم، ومقصوده إعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ، وهَذَا هو المعنىٰ الخاص للجهاد.

أمَّا المعنىٰ العام فكما عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُوَ بَذْلُ الْوُسْعِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ فِي حُصُولِ مَحْبُوبِ الْحَقِّ» [«مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (١٠/ ١٩٢)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَالتَّحْقِيقُ**: أَنَّ جِنْسَ الْجِهَادِ فَرْضُ عَيْنٍ إمَّا بِالْقَلْبِ، وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ، وَإِمَّا بِالْيَدِ، فَعَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ» [«زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٤)].

فعَلىٰ كلِّ مُسْلم أنْ يجاهد بنوع من هَذِه الأنْوَاع، بالقَلْب، باللِّسَان، بالمَال، باليَد، ونَقُول في عَصْرنا الحاضِر: وبالقلم أيضًا.

أقسام الجهاد:

أولًا: جهاد الكُفَّار، وهو نَوْعَان: جِهَاد الطَّلب، وجِهَاد الدَّفع.

ثانيًا: جهاد المُنافقِين والمُرتَدِّين.

ثالثًا: جهاد البُغَاة، وهم الَّذِينَ يَخرجون علىٰ الإمام، إمَام المُسْلِمين الحق.

مراتب الجهاد:

قال العُلمَاء: إنَّ الجِهَاد له أرْبَع مرَاتِب: جِهَاد النَّفس، وجِهَاد الشَّيطان، وجهَاد الكُفَّار والمُنافقِين، وأصْحَاب الظُّلم والبِدَع والمُنكَرات.

المَرتبة الأولَىٰ: جهاد النفس، إنَّ جهاد النَّفس له أرْبعَة أنوَاع:

النوع الأول: جهاد في بَذْل العِلْم، وتعَلُّم أمُور الدِّين والْهَدْىٰ، والَّذِي لا فَلاح للنَّفس، ولا سعادةَ لا في المعَاش ولَا في المعَاد إلَّا بتَحْصِيله، لا نريد أنْ تكون الأمَّة كلها عالِمَة، إنَّما المَفروض علَىٰ كل مسلم نوْع مِن العِلْم فرض عَيْن، فعَليْهِ أنْ يبذل جهده لتَحْصِيل العِلْم الَّذِي هو فرض عَيْن في حقِّه، وهو: أصول الدِّين وقواعده كالصَّلاة وأحْكَامها، والوضُوء وأحْكَامه، حقُوق الوَالِدَيْن، يعرف المُعاملَات التي يُمارسها في حيَاته.

=

=

النَّوع الثَّاني: جهاد العمل، بمعنىٰ بذل الجهد في الأعمال الصَّالحة، ولهَذَا سُمِّيَتْ أحْكَام الشَّرْع تكاليف شَرعِيَّة؛ لأنَّها لا تكون إلَّا ببذل جهد وكُلفة، والله ﷻ قال لنا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فالله يكلفنا لكنه لم يكلِّفْنَا إلَّا قدر طاقتنا، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿۞ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]، فبذل الجهد للعمل جهاد.

ولهَذَا قال أهل العلم: جِهَادها -أي النفس- علَىٰ العَمل به بعد العِلْم. فلَا يَكُون العمَل صحيحًا إلَّا بعلم، لِذَا، بوَّبَ البخاريُّ باب: «العلم قبل القول والعمل».

النَّوع الثَّالث: جِهَاد الدَّعْوَة إلىٰ الله علىٰ بصِيرَة، والدَّعوَة بابها واسِع ليْسَت تخْتص ببعض المؤهلين مِن طلبة العِلْم، ولكن أنت عليك دَعْوة، ولا سِيَّما في عموم قوله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١)، فالمُسْلِم مُكلَّفٌ بدَعْوَة أهل بَيْته، والقِيَام علَىٰ أولاده، والقِيَام علىٰ مَن تحت يَدِه، ولاسِيَّما إذا كنت مسؤولًا علَىٰ مَن تَحْت يدك مِن العُمَّال أو المُوظَّفين، كمُدِير مدرسة، ومدير عمَل، مدير مَصْنع، فلابُدَّ أنْ تجاهد في دعْوَتهم وإصْلَاحهم بقَدْر ما عندك مِن علم وصلاحيات، وما علَيْك مِن مسئولِيَّات.

النَّوع الرَّابع: الصَّبر علىٰ مشَاقِّ الدَّعوَة، والكلَام علىٰ الصَّبر باب واسِع جدًّا.

المرتبة الثَّانية: جهاد الشَّيطان.

قال العُلمَاء: إنَّ له مَرْتبَتَيْن: جهاده علىٰ دفع ما يلقي إلىٰ العبد مِن الشُّبهات والشُّكُوك القَادِحَة في الإيمان، فالمُسْلِم إذَا كان في دِيَار الإسلام، وعند أهل العلم يَكُون سليم القَلب بإذن الله، إلَّا إذَا أقْحَم نفْسه في أمور علمِيَّة لم يبلغها فإنَّه قد يقَع في شُبَهٍ، لكن عامَّة المُسْلِمين والَّذِينَ هُم قَريبُون مِن العِلْم -إنْ شاء الله- يُسْلمُون مِن مدَاخل الشَّيطان.

وجِهَاد الشَّيطان علىٰ دَفْع ما يلقي مِن الشُّبهات والشُّكوك تَكُون للَّذِين يقتحمون أنواع بعض العلوم والمعارف وهم لم يحصلوا الآلة الكافية.

المَرتبة الثَّانية: جهاد الشَّهوات، والشَّهَوات مدخل للشَّيطان عريض، ولهَذَا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر:٦]، ولاشك أنَّ الشَّهوات كثيرة وجاذِبَة، قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

=

=

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران:١٤]، فالشَّهَوات سَواء في المأكُولَات، في المَشْروبَات، في النِّسَاء، زِينَة الأمْوَال، زينة المَراكب، متاع الدُّنيا بكل أنْوَاعه، لاشَكَّ أنَّ للشَّيطَان فيه علىٰ النَّفس مدخلًا عظِيمًا، ومِن أعْظَم ما يُجَاهد به الإنسان نفْسِه هو جهاد الشَّهَوات.

المرتبة الثَّالثة: جِهَاد الكُفَّار والمُنافقِين.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]، وقد لا يَكُون جِهَاد المُنافقين بالقِتال بقَدْر ما يَكُون باللِّسَان، والقلب، والمَال، واليد.

هَذَا فِي الجملة فيما يتعَلَّق بمراتب الجِهَاد وأقسامه.

جهاد الطَّلب هو: تطلب الكُفَّار في عُقْر دَارهِم، بمعنىٰ أنَّ المُسْلِمين يُقاتِلُون الكُفَّار ليس لإجبارهم علَىٰ الدُّخول في الدِّين فالله ﷻ يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وإنَّما مِن أجْل أنْ تَفْتح الأبوَاب أمَام الدَّعوَة، وليَسْمع النَّاس دين الله ﷻ، ولهَذَا قال سبحانه في جهاد الطلب كما يسميه العُلمَاء: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [التوبة:٥]، وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦]، وقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة:٤١]، وقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة:٣٩]، وقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، ومرة قال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [النساء:٩٥].

جهاد الدَّفع يَكُون فرض عين، بينما جِهَاد الطَّلب فرض كفاية، علَىٰ ما سَوْف يأتي -إن شاء الله- مِن تفْصِيل بما يتعَلَّق بالإمام ومسؤوليَّته في ذلك، فجِهَاد الدَّفع هو حين يقتحم الكُفَّار دِيَار المُسْلِمين، أو شيء مِن دِيَار المُسْلِمين، فيكون حينئذٍ المُدافعَة والمُقاوَمة، وتكون فرض عين متدرجة علىٰ مَن كانوا مُتلصِقين بالكُفار، ثُم مَن يليهم، وهكذا.

=

=

ومِن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٠]، وقال: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النساء:٧٥].

الجهاد يَكُون فرض عَيْن إذَا حضَر المُسْلِم المُكلَّف القتال، والتقىٰ الزَّحْفَان، وتقَابل الصَّفَّان، وإذا حضر العدوُّ بلدًا مِن بلدان المُسْلِمين تَعَيَّنَ علىٰ أهل البلد قتاله وطرده، وهو جهاد الدفع، واستَنْفَرَ إمام المُسْلِمين النَّاس وطلب منهم ذلك؛ لأنه سبحانه قال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا﴾، يعني إذا استنفركم الإمام.

وكما قال النَّبِي ﷺ: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا**»(١)، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة:٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:٣٨].

هَذَان هما نوعَا جهاد الكفار: جهاد الدفع، وجهاد الطلب.

المرتبة الرابعة: جهاد البدع والمنكرات:

هَذَا النوع من الجهاد يكون باليد، واللسان، والقلب، حسب المراتب التي بيَّنهَا النَّبِي ﷺ في قوله: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند مسلم: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(١)...».

الكاشف السادس
الموقف من الدماء المعصومة بالإيمان والأمان

وَكَذلك أيضًا ممَّا يكشف المُدَّعي بالدَّعوَة السَّلفِيَّة: مسألة الدِّماء، الدِّماء المَعْصومة؛ سواء كان ذَلكَ بالإِيمَانِ، أو بالأَمَان، الإيمان أي: الَّتي آمنت بِرَبِّها، والأَمَان أي الَّتي أُعْطِيَ لها الأمانُ من مُعَاهدٍ، أو ذِمِّيٍّ، أو غير ذلك، وَلَها أحكامٌ بَيَّنها النَّبِي ﷺ، وَاعْتنَىٰ بها الإسلامُ، أحكامًا ليست مجهولةً، معلومةً، وبَيَّنَ أَهْلُ العلم في ذلك الشَّيء الكثير، مِنْهم مَنْ أَفْرد ذلك في مُؤلَّفاتٍ، كما أَفْرَد ذلك ابْنُ القيِّم في «أَحْكَام أهل الذِّمَّة».

فالخَوَارج اسْتحلُّوا الدِّماء المعصومة بالإيمان والأمان؛ لأنَّهم كَفَّروا هؤلاء الَّذِينَ جعلوا لأُولَئك الأمان، فالكافرُ مع الكافر، لا يؤمن أَحَدهما الآخر، هَذِه هي النَّظرة الحقيقيَّة، وما نُشَاهد من هَذَا التَّكفير وهَذِه التَّفجيرات، ما هو إلَّا ثمرٌ مرٌّ لشجرٍ خبيثٍ غُرِسَ في زمانٍ انْتشَرتْ فيه أقوالُ وأشرطةُ دُعَاة الثَّورة والتَّهييج السِّياسيِّ: أَيْنَ حَتْميَّة المُوَاجهة؟ أَيْنَ صناعةُ الموت؟ أَيْنَ أسباب سُقُوط الدُّول؟ هَذِه الأشرطة غَرَستْ في الشَّباب البغضَ حتَّىٰ للعمل في المُؤسَّسات الحكوميَّة، ثمَّ يأتون يَطْعنون في العُلمَاء، وَيَقُولُونَ: هُمُ السَّبب! ثمَّ يأتون يَطْعنون في الحُكُومة، ويَقُولُونَ: البطالة هي

السَّبب، وهل مَنْ مَعَه الملايين والأموال الضَّخمة الَّتي يشتري بها آلات التَّفجير يُعْتَبر من أهل البَطَالة، بل هَذَا لا يكون إلَّا من أَهْل الفُجُور والجور، وأَهْل الضَّلال، وخلفهم مَنْ خلفهم من تلك الأَشْجَار الَّتي تثمر تلك الثِّمار، قَيَّضَ اللهُ لها يدًا من الحقِّ قاطعةً لجُذُورها، نسأل الله أَنْ يكشف سترَهم(١).

---

(١) لقد تساهل بعض النَّاس في الدِّماء المعصومة، وتجرؤوا عليها، مع أنَّها عند الله ﷻ عظيمة.
قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].
وقال ﷺ: «**ومن خرج علىٰ أمَّتي يضرب برَّها وفاجرها ولا يتحاشىٰ من مؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهده فليس منِّي ولست منه**» [أخرجه مسلم (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة].
وقال المصطفىٰ ﷺ: «**لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا علىٰ قتل مسلم؛ لكبهم الله جميعًا علىٰ وجوههم في النار**» [أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٤٢١) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٣)].
وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ ذنبٍ عسىٰ الله أن يغفره إلَّا من مات مشركًا أو مؤمنٌ قتل مؤمنًا متعمِّدًا**» [أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) من حديث أبي الدرداء، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥١١)].
بل إنَّ الإسلام يرىٰ أنَّ قتل نفسٍ واحدة معصومة أشد عند الله -تعالىٰ- من زوال الدُّنيا بأسرها: «**لزوال الدُّنيا أهون علىٰ الله من قتل رجلٍ مسلمٍ**». [أخرجه الترمذي (١٣٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٩)].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لن يزال المؤمن فىٰ فسحةٍ من دينه ما لم يُصِب دمًا حرامًا**» [أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر]، وقوله: «**فسحة من دينه**»: أي: منشرح الصَّدر، مطمئن النَّفس، في سعةٍ من رحمة الله عز وجل.
وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «**إنَّ من ورطات الأمور، الَّتي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدَّم الحرام بغير حلِّه**». [أخرجه البخاري (٦٨٦٣)].
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة**
=

=

ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا يقول يا رب هذا قتلنى حتىٰ يدنيه من العرش».

[أخرجه الترمذى (٣٠٢٩)، وابن ماجه (٢٦٢١) من حديث ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢١٢٢)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**» [أخرجه البخاري (٣١٦٦)].

الكاشف السابع
الموقف من العلماء، ومن هم العلماء؟

وأمَّا عن الكاشف السَّابع: المَوْقفُ من العُلمَاء، ومَنْ هم العُلمَاء؟ فيَقُولُ البعض: الْتفُّوا حول العُلمَاء، اسْمَعوا لأَهْل العلم، اجْلسُوا مع أَهْل العلم؛ وآخر يَطْعَنُ في أَهْل العلم، يَقُولُ: العُلمَاء في بُرُوجٍ عاجيَّةٍ، وآخر يَقُول: العُلمَاء لَيْسوا علىٰ استقلالٍ في أَقْوَالهمْ وأَفْعَالهمْ، ولا حتَّىٰ الهيئات الشَّرْعيَّة القائمة في البلاد الإسلاميَّة ليست مستقلَّةً في أَقْوَالهمْ وأَفْعَالهمْ، ولا حتَّىٰ الهيئات الشَّرْعيَّة القائمة في البلاد الإسلاميَّة ليست مستقلَّةً، أي: ليست مستندةً للدَّليل، بَلْ تَبْحث عن رضا الحاكم؛ لأنَّهم مُوظَّفونَ، كلُّ هَذِه الطُّعون، ثمَّ يأتي مَنْ يقول: اسْمَعوا لأَهْل العلم، مَنْ هُمْ أَهْل العلم الَّذِينَ يسمع لهم؟ هل هُمْ مَنْ لَبِسَ لباسًا مُعيَّنًا، أو له شكلٌ مُعيَّنٌ؟

لا، أَهْلُ العلم هُمُ الَّذِينَ شَهِدَ لهم العُلمَاء أنَّهم أَهْل العِلْم، هُمُ الَّذِينَ تَفقَّهوا في كتاب الله، وسُنَّة رَسُول الله ﷺ بفَهْم السَّلف الصَّالح، فهم يَتَّبعون الهُدَىٰ لا الهَوَىٰ، الاجْتِمَاعَ لا التَّفرُّقَ، التَّبصيرَ، لا التَّعميةَ والتَّضليلَ، الدِّلالة والإرشاد، لا الغِوَايَة والإِضْلَال.

وَلَكنَّ مَكْمَن المشكلة أنَّنا في زمانٍ قَدْ نَبتَتْ فيه نَوَابِتُ يَتلوَّنون بأَلْوانٍ،

يأتون فيَقُولونَ: يجبُ السَّمعُ والطَّاعة للوُلَاة، أي: يريدون أَنْ يَجْعَلوا أنفسهم علىٰ هَدْي السَّلف في شأن الوُلَاة، ثمَّ إِذْ بهم يُوجِّهون الطَّعْونات السَّابقة في العُلمَاء، لكن نقول: لكم كَوَاشفُ أخرىٰ تُبيِّنُ حقيقة أمركم (١).

---

(١) إذا اختلف أهل العلم في مسألةٍ؛ وجب علىٰ المسلم أن يتَّبع ما يغلب علىٰ ظنِّه أنَّه الأقرب للصَّواب، وما يطمئنُّ إليه قلبه؛ لقوله ﷺ: «**البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطَّلع عليه النَّاس**» [أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه].

ولا يجوز للمسلم أن يتتبع رخص العلماء الَّتي هي زلَّات خالفوا فيها العلماء الثِّقات غيرهم، وردُّوا عليهم فيها، مع حفظنا لقدرهم؛ فإنَّ من تتبَّع رخص العلماء اجتمع فيه الشَّر كله، ووجد من الفتاوىٰ ما يستحلُّ فيه كثير المحرَّمات.

ولا يجوز لأحدٍ من المسلمين أن يقلِّد أحدًا من العلماء في كلِّ ما يقول.

ويجب عليه إذا نزلت به نازلة أن يستفتي من يعتقد أنَّه يفتيه بالحق والصَّواب من شرع الله ورسوله؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

قال شيخ الإسلام: «وإذا نزلت بالمسلم نازلةٌ فإنَّه يستفتي من اعتقد أنَّه يفتيه بشرع الله ورسوله من أيِّ مذهبٍ كان، ولا يجب علىٰ أحدٍ من المسلمين تقليد شخصٍ معيَّن من العلماء في كلِّ ما يقول، ولا يجب علىٰ أحدٍ من المسلمين التزام مذهب شخص معيَّن من العلماء في كلِّ ما يوجبه ويخبر به، بل كل أحدٍ من النَّاس يؤخذ من قوله ويترك إلَّا رسول الله ﷺ، واتِّباع شخصٍ لمذهبٍ بعينه لعجزه عن معرفة الشَّرع من غير جهته، إنَّما هو مسوِّغٌ له، ليس هو ممَّا يجب علىٰ كل أحدٍ إذا أمكنه معرفة الشَّرع بغير ذلك الطَّريق، بل كلُّ أحدٍ عليه أن يتَّقي الله ما استطاع، ويطلب علم ما أمر الله به ورسوله، فيفعل المأمور ويترك المحظور».اهـ [«مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (٢٠/ ٢٠٨-٢٠٩)].

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر: «والواجب عند اختلاف العلماء طلب الدَّليل من الكتاب والسُّنة، والإجماع والقياس علىٰ الأصول منها، فإذا استوت الأدلَّة وجب الميل مع الأشبه بما ذكرنا بالكتاب والسُّنة، فإذا تبيَّن ذلك وجب التَّوقُّف، ولم يجز القطع إلَّا بيقين، فإذا اضطر أحدٌ =

الكاشف الثامن
الموقف من البدعة وأهلها

وَالكاشف الثَّامن: الموقفُ من البدعة، ومِنْ أَهْل البدع؟ وما الموقفُ في التَّعامل مَعَهم والأَخْذ عنهم؟

فنقول: إنَّ أَهْل السُّنَّة قَدْ دَوَّنوا في بَيَان هَذِه المواقف الدَّوَاوين، ورَدُّوا علىٰ أَهْل الباطل، وبَيَّنوا عوارَ ما هم عليه، وبَيَّنوا فساد ما أَحْدَثوه من بدعٍ؛ سواء كان في المَسَائل العقائديَّة، أو كَانَ في المَسَائل المنهجيَّة، أَوْ في العبادات، أَوْ في الأَخْلَاق، والسُّلُوك، والمُعَاملة.

هَذَا بالنِّسبة للبدعة، كَذَلك المَوْقف من المُبْتدع، والتَّعَامل مع المبتدع، وأَحْوَال المبتدع، قَدْ سطر فيه السَّلف مَوَاقفَ مُشرِّفةً في تَحْرير الوَلَاء والبَرَاء، وفي حماية المُسْلِمينَ من ضَلَال أَهْل البدع[1].

=

إلىٰ استعمال شيءٌ من ذلك في خاصَّة نفسه جاز له ما يجوز للعامَّة من التَّقليد...».

إلىٰ أن قال: «هذا حال من لا يمعن النَّظر، وأمَّا المفتون فغير جائز عند أحدٍ ممَّن ذكرنا قوله لا يفتي ولا يقضي؛ حتَّىٰ يتبيَّن له وجه ما يفتي به من الكتاب والسُّنة والإجماع أو ما كان علىٰ هذه الأوجه».اهـ[«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٨٠-٨١)].

(١) **قال الشيخ خالد الظفيري في «إجماع العلماء»:**

=

=

« **الفصل الأول: تحذير أهل السُّنة من البدع وأهلها:**

لقد منَّ الله ﷻ على النَّاس أجمعين بأن بعث إليهم رسله مبشِّرين ومنذرين؛ لئلَّا يكون للنَّاس على الله حجَّةٌ بعد الرُّسل.

فبدأهم الله تعالىٰ بنوح عليه السلام، ثمَّ ختمهم ببعثة نبيِّ الرَّحمة والمغفرة، نبيِّ هذه الأمَّة محمَّد ﷺ، فأكمل الله به الدِّين، وأتمَّ به النِّعمة، فلم ينتقل إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ إلَّا وقد أدَّىٰ الَّذي عليه أكمل الأداء، وبلَّغ البلاغ المبين، وأقام الحجَّة، وأوضح المحجَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّىٰ أتاه اليقين.

وكان ﷺ حريصًا علىٰ هداية أمَّته، عزيزًا عليه ما يعنتهم ويشقُّ عليهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

ومن حرصه علىٰ أمَّته: أنَّه لم يترك بابًا من أبواب الخير إلَّا دلَّهم عليه، ولم يترك بابًا من أبواب الشَّرِّ إلَّا حذَّرهم منه، وبيَّن لهم طرق إتيان الخير، وطرق اجتناب الشَّرِّ.

ومن أعظم تلك الشُّرور الَّتي انتشرت في الأمَّة، وتفاقم أمرها، والتبست علىٰ كثيرٍ من النَّاس: البدع المضلَّة، وهي: «طريقة في الدِّين مخترعة، تضاهي الشَّرعيَّة، يقصد بالسُّلوك عليها ما يقصد بالطَّريقة الشَّرعيَّة» [«الاعتصام» للشاطبي (١/ ٣٧)].

ففيها الاستدراك علىٰ الله، وادِّعاء عدم كمال الدِّين، فكان ﷺ في كلِّ خطبةٍ يحذِّر منها، فيقول: «**وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النَّار**» [أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما].

ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر أمَّتي ناسٌ يحدِّثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم**» [أخرجه مسلم (٦)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الَّذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الَّذين سمَّىٰ الله**

=

=

فاحذروهم» [أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)].

فبيَّن لنا نبيُّنا ﷺ أنَّ طريق النَّجاة من البدع هو الحذر والتَّحذير منها، واجتنابها واجتناب أهلها وهجرهم.

فهجر أهل البدع ومنابذتهم من أعظم أصول الدِّين الَّتي تحفظ علىٰ المسلم دينه وتقيه شرَّ مهالك البدع والضَّلالات.

كيف لا، وقد أوضح الله عَزَّوَجَلَّ هذا الأصل العظيم في كتابه حيث قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء:١٤٠].

قال ابن عون: «كان محمَّد بن سيرين -رحمه الله تعالىٰ- يرىٰ أنَّ أسرع النَّاس ردَّةً: أهل الأهواء، وكان يرىٰ أنَّ هذه الآية أنزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨]» [«الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٣١)].

وعن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر قال: «لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنَّهم الَّذين يخوضون في آيات الله» [«تفسير الطبري» (٧/ ٢٢٩)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ١٢)].

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري في «تفسيره»: «وفي هذه الآية الدِّلالة الواضحة علىٰ النَّهي عن مجالسة أهل الباطل من كلِّ نوعٍ من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم» [«تفسير الطبري» (٥/ ٣٣٠)].

ولهذا اهتمَّ السَّلف بهذا الأصل العظيم، وهو هجر أهل البدع أعظم اهتمام، وأولوه بالغ العناية، فسيرتهم مليئةٌ بهجر أهل البدع، وإخزائهم، وإذلالهم، ولو أردت أن أنقل ما جاء عنهم في ذلك لبلغ مجلدًا، بل مجلَّداتٍ...».

الكاشف التاسع
الموقف من التكفير

ومِنْ كَوَاشف هؤلاء: مَسْألة التَّكْفير؛ ولا شكَّ أنَّ أَهْل السُّنَّة يُكفِّرون مَنْ كَفَّره اللهُ ورسولُهُ، أو مَنْ وَقَع في الكفر.

وتَكْفيرُ المُعيَّن لا يكون إلَّا بَعْد تَوفُّر شُرُوطٍ، وَانْتِفَاء مَوَانع:

ومن هَذِه الشُّرُوط: العلمُ، والمعرفةُ، والاختيارُ، وقَصْدُ الفعل.

ومِنَ المَوَانع: التَّأويلُ، والجهلُ، والنِّسيانُ، والخطأُ، والإكراهُ(١).

فأَمَّا التَّأويلُ: فكَحَال حَاطب بن أبي بَلْتَعَة(٢).

---

(١) أخرج ابن ماجه (٢٠٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «**إنَّ الله وضع عن أمَّتي الخطأ، والنِّسيان، وما استكرهوا عليه**»، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير، والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتَّىٰ تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها»، فانطلقنا تعادىٰ بنا خيلنا حتىٰ انتهينا إلىٰ الرَّوضة، فإذا نحن بالظَّعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقينَّ الثِّياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ أناسٍ من المشركين من أهل مكَّة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله، لا تعجل علي إنِّي كنت امرءً ملصقًا في =

وأمَّا الإكراهُ: فكَحَال عمَّار بن ياسرٍ[(١)].

وأمَّا الخطأ: فكَحَال الرَّجل الَّذِي قال: «**اللَّهمَّ أَنْتَ عبدي وأنا ربُّك**»[(٢)].

=

قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكَّة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم، أن أتَّخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

قال ابن حزم في «الفصل» (٣/ ١٤٣): «وقد قال عمر رضي الله عنه - بحضرة النَّبي ﷺ - عن حاطب: «دعني أضرب عنق هذا المنافق»، فما كان عمر بتكفيره حاطبًا كافرًا بل كان مخطئًا متأولًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٨٤): «إذا كان المسلم متأوِّلًا في القتال، أو التكفير لم يَكفر بذلك»، ثم استشهد بتكفير عمر لحاطب رضي الله عنهما.

(١) أخرج البيهقي في «الكبرىٰ» (١٦٨٩٦) من حديث أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتَّىٰ سبَّ النَّبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتىٰ رسول الله ﷺ قال: «**ما وراءك؟**»، قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تركت حتَّىٰ نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «**كيف تجد قلبك؟**»، قال: مطمئنًّا بالإيمان، قال: «**إن عادوا فعد**».

(٢) أخرج مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاةٍ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتىٰ شجرةً، فاضطجع في ظلِّها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمةً عنده، فأخذ بخطامها، ثمَّ قال من شدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك؛ أخطأ من شدَّة الفرح**».

هذا، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «فتاويه» منهج أهل السنة والجماعة في مسألة

=

=

«تكفير المسلم»، هذه المسألة الخطيرة التي طالما زلَّت فيها أقدام، وضلَّت فيها أفهام، وصدرت فيها أوهام، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنبٍ فعله، ولا بخطإٍ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة؛ فإنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقد ثبت في «الصحيح» أنَّ الله تعالىٰ أجاب هذا الدُّعاء وغفر للمؤمنين خطأهم [أخرج البخاري (١٢٦) من حديث ابن عبَّاس، قال: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيءٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا» قال: فألقىٰ الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾، «قال: قد فعلت»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾، «قال: قد فعلت»، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] «قال: قد فعلت»]، والخوارج المارقون الَّذين أمر النَّبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الرَّاشدين [أخرج القصة بتمامها البخاري (١٠٦٦) من حديث زيد بن وهب]، واتفق علىٰ قتالهم أئمَّة الدِّين من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصَّحابة بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ولم يقاتلهم علي حتىٰ سفكوا الدم الحرام وأغاروا علىٰ أموال المسلمين؛ فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفَّار، ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الَّذين ثبت ضلالهم بالنَّص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم، فكيف بالطَّوائف المختلفين الَّذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحدٍ من هذه الطَّوائف أن تكفِّر الأخرىٰ، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محقَّقة فكيف إذا كانت المكفِّرة لها مبتدعة أيضًا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنَّهم جميعًا جهَّال بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل أنَّ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرَّمة من بعضهم علىٰ بعض لا تحل إلَّا =

=

بإذن الله ورسوله.

قال النَّبي ﷺ لمَّا خطبهم في حجة الوداع: «**فإنَّ دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم، عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**» [أخرجه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٢١٨) من حديث أبي بكرة].

وقال: «**كلُّ المسلم علىٰ المسلم حرامٌ، دمه، وماله، وعرضه**» [أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة].

وقال: «**من صلَّىٰ صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الَّذي له ذمَّة الله وذمَّة رسوله**» [أخرجه البخاري (٣٩١) من حديث أنس بن مالك].

وقال: «**إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النَّار**»، فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه كان حريصًا علىٰ قتل صاحبه**» [أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة].

وقال: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا، يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**» [أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث جرير].

وقال: «**إذا قال المسلم لأخيه يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**» [أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر]، وهذه الأحاديث كلها في الصحاح.

وإذا كان المسلم متأوِّلًا في القتال، أو التَّكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطَّاب لحاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النَّبي ﷺ: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع علىٰ أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، وهذا في «الصحيحين» [أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه].

وفيهما أيضًا، من حديث الإفك: «أنَّ أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنَّك منافق تجادل عن المنافقين، واختصم الفريقان؛ فأصلح النَّبي ﷺ بينهم [أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)].

فهؤلاء البدريُّون فيهم من قال لآخر منهم: «إنَّك منافق»، ولم يكفر النَّبي ﷺ لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنَّة.

=

=

وكذلك ثبت في «الصحيحين»: «عن أسامة بن زيد أنَّه قتل رجلًا بعدما قال: لا إله إلا الله، وعظم النَّبي ﷺ ذلك لمَّا أخبره، وقال: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟**» وكرَّر ذلك عليه، حتَّىٰ قال أسامة: «تمنيت أني لم أكن أسلمت إلَّا يومئذ» [أخرجه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦)]، ومع هذا لم يوجب عليه قودًا [أي: القصاص]، ولا ديةً، ولا كفَّارةً؛ لأنَّه كان متأوِّلًا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنِّه أنه قالها تعوُّذًا.

فهكذا السَّلف قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفِّين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات:٩]، فقد بيَّن الله تعالىٰ أنَّهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم علىٰ بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا، كان السَّلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدِّين، لا يعادون كمعاداة الكفَّار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون، ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعضٍ مع ما كان بينهم من القتال والتَّلاعن، وغير ذلك.

وقد ثبت في «الصحيح» أنَّ النَّبي ﷺ سأل ربَّه أن لا يهلك أمَّته بسنة عامَّة؛ فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم؛ فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يعط ذلك». [أخرج مسلم (٢٨٩٠) عن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتىٰ إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربَّه طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «**سألت ربِّي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدةً، سألت ربِّي: أن لا يهلك أمَّتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمَّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيه**»]، وأخبر أنَّ الله لا يسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم يغلبهم كلهم حتَّىٰ يكون بعضهم يقتل بعضًا وبعضهم يسبي بعضًا.

وثبت في «الصحيحين»: «لمَّا نزل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، قال: «**هاتان أهون**» [أخرجه

=

=

البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر].

هذا، مع أنَّ الله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهىٰ عن البدعة والاختلاف، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال النَّبي ﷺ: «**عليكم بالجماعة؛ فإنَّ يد الله علىٰ الجماعة**».

وقال: «**الشَّيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**» [أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٧٤) من حديث السائب بن مهجان].

وقال: «**الشَّيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، والذِّئب إنَّما يأخذ القاصية والنَّائية من الغنم**» [أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٠٠) من حديث معاذ، وضعفه الألباني في «المشكاة» (١٨٤)].

فالواجب علىٰ المسلم، إذا صار في مدينةٍ من مدائن المسلمين أن يصلِّي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم، وإن رأىٰ بعضهم ضالًّا أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويرشده؛ فعل ذلك، وإلَّا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وإذا كان قادرًا علىٰ أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل؛ ولَّاه، وإن قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه، وإن لم يقدر علىٰ ذلك فالصَّلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنَّة نبيِّه الأسبق إلىٰ طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النَّبي ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءةً، فإن كانت قراءتهم سواءً، فليؤمَّهم أقدمهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرة سواءً، فليؤمَّهم أكبرهم سنًّا**» [أخرجه مسلم (٦٧٣) من حديث أبي مسعود].

وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة؛ هجره كما هجر النَّبي ﷺ الثَّلاثة الَّذين خلِّفوا حتىٰ تاب الله عليهم [أخرج القصة بتمامها البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك].

وأمَّا إذا ولِّيَ غيره بغير إذنه وليس في ترك الصَّلاة خلفه مصلحة شرعيَّة؛ كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد ردَّ بدعةٍ ببدعة، حتَّىٰ إنَّ المصلِّي الجمعة خلف الفاجر اختلف النَّاس في إعادته الصَّلاة، وكرهها أكثرهم، حتَّىٰ قال أحمد بن حنبل في رواية عبدوس: «من أعادها فهو مبتدع» [«أصول السنة» لأحمد بن حنبل (ص ٤٤)]، وهذا أظهر القولين؛ لأنَّ الصَّحابة لم يكونوا يعيدون الصَّلاة إذا صلوا خلف أهل الفجور والبدع، ولم

=

=

يأمر الله تعالىٰ قطُّ أحدًا إذا صلَّىٰ كما أمر بحسب استطاعته أن يعيد الصَّلاة؛ ولهذا كان أصح قولي العلماء أنَّ من صلَّىٰ بحسب استطاعته أن لا يعيد حتَّىٰ المتيمِّم؛ لخشية البرد، ومن عدم الماء والتراب إذا صلَّىٰ بحسب حاله، والمحبوس، وذووا الأعذار النَّادرة والمعتادة، والمتَّصلة، والمنقطعة لا يجب علىٰ أحدٍ منهم أن يعيد الصَّلاة إذا صلَّىٰ الأولىٰ بحسب استطاعته.

وقد ثبت في «الصحيح» أنَّ الصَّحابة صلُّوا بغير ماءٍ ولا تيمُّم لمَّا فقدت عائشة عقدها، ولم يأمرهم النَّبي ﷺ بالإعادة.

بل أبلغ من ذلك: أنَّ من كان يترك الصَّلاة جهلًا بوجوبها لم يأمره بالقضاء، فعمر، وعمَّار لمَّا أجنبا، وعمر لم يصل وعمَّار تمرَّغ كما تتمرَّغ الدَّابة لم يأمرهما بالقضاء [أخرج القصة بتمامها البخاري (٣٤٧)، ومسلم (٣٦٨)]، وأبو ذر لمَّا كان يجنب ولا يصلي لم يأمره بالقضاء، والمستحاضة لمَّا استحاضت حيضة شديدة منكرة منعتها الصَّلاة والصَّوم لم يأمرها بالقضاء.

والَّذين أكلوا في رمضان حتَّىٰ يتبيَّن لأحدهم الحبل الأبيض من الحبل الأسود لم يأمرهم بالقضاء، وكانوا قد غلطوا في معنىٰ الآية؛ فظنُّوا أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧] هو الحبل، فقال النَّبي ﷺ: «**إنَّما هو سواد اللَّيل وبياض النَّهار**»، ولم يأمرهم بالقضاء [أخرجه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم]، والمسيء في صلاته لم يأمره بإعادة ما تقدَّم من الصَّلوات [القصة بتمامها أخرجها البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة]، والَّذين صلوا إلىٰ بيت المقدس بمكَّة والحبشة وغيرهما بعد أن نسخت بالأمر بالصَّلاة إلىٰ الكعبة، وصاروا يصلُّون إلىٰ الصَّخرة حتَّىٰ بلغهم النَّسخ، لم يأمرهم بإعادة ما صلوا(٢) [القصة بتمامها أخرجها البخاري (٣٩٩) من حديث البراء بن عازب، ومسلم (٥٢٧) من حديث أنس بن مالك]، وإن كان هؤلاء أعذر من غيرهم؛ لتمسُّكهم بشرعٍ منسوخ.

وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله، هل يثبت حكمه في حقِّ العبيد قبل البلاغ؟ علىٰ ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره.

قيل: يثبت، وقيل: لا يثبت، وقيل: يثبت المبتدأ دون النَّاسخ.

=

=

والصحيح: ما دلَّ عليه القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وفي «الصحيحين» عن النَّبي ﷺ: «**ما أحدٌ أحبُّ إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرُّسل مبشِّرين ومنذرين**». [أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة].

فالمتأوِّل، والجاهل، المعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر، بل قد جعل الله لكلِّ شيءٍ قدرًا» [«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٢- ٢٨٨)].

الكاشف العاشر
الموقف من عقيدة الولاء والبراء

ومِنَ الكواشف أيضًا: المَوْقف من عقيدة الوَلَاء والبَرَاء: الوَلَاء للمُؤْمنينَ، والبَرَاء من الكافرين؛ الوَلَاء لأَهْل السُّنَّة والجَمَاعة (أَتْبَاع السَّلف الصَّالح)، والبَرَاء من أَهْل البِدْعَة، والفِرْقَة، والتَّحزُّب.

والتَّولِّي يَكُونُ معه المحبَّة والنُّصرة، أمَّا المُعَاملات من بيعٍ وشراءٍ، ونَحْوهما، فلَيْسَتْ هي مَنَاط[1] الوَلَاء والبَرَاء؛ فإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ «مَاتَ ودِرْعُهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ»[2]، والرَّهْنُ من البُيُوع، والمرهونُ آلةُ حربٍ.

كَذَلك العدلُ والإحسانُ في التَّعامل مع أَهْل الذِّمَّة والمُعَاهدين لَا تَسْتلزم مَودَّتهمْ ومَحبَّتهمْ.

إِذًا، يَنْبغي أَنْ نعرفَ ما هي الضَّوابط الشَّرْعيَّة للوَلَاء والبَرَاء الَّتي تُميِّز الدَّعوَة السَّلفِيَّة عن الدَّعوات الحزبيَّة؛ حيث إنَّ القَوْمَ أَوْغَلوا في هَذَا الباب بلا ضَوَابطَ صحيحةٍ؛ فكَفَّروا مَنْ ليس هناك دليلٌ علىٰ تَكْفيره، وتَولَّوا مَنْ

---

(١) «مناط»: علَّة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة.

يجب البَرَاء منه، وتَبرَّؤوا مِمَّنْ يجب تَولِّيه؛ وهَكَذا بلا ضابطٍ، ولا رابطٍ[(١)].

---

(١) **قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيمية طَيَّبَ اللهُ ثَرَاه**: «وليعلم أنَّ المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدىٰ عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإنَّ الله سبحانه بعث الرُّسل، وأنزل الكتب؛ ليكون الدِّين كلُّه لله، فيكون الحبُّ لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثَّواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرَّجل الواحد خيرٌ وشرٌّ، وفجورٌ وطاعة، ومعصيةٌ وسنَّة وبدعة؛ استحقَّ من الموالاة والثَّواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشَّر، فيجتمع في الشَّخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللِّص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته؛ هذا هو الأصل الَّذي اتَّفق عليه أهل السُّنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا النَّاس لا مستحقًّا للثَّواب فقط، ولا مستحقًّا للعقاب فقط.

وأهل السُّنة يقولون: إنَّ الله يعذِّب بالنَّار من أهل الكبائر من يعذِّبه ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له في الشَّفاعة؛ بفضل رحمته، كما استفاضت بذلك السُّنة عن النَّبي ﷺ، والله ﷻ أعلم». [«مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢١٠)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **عن كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله»**: «لأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدَّواوين، وقام سوق الجنَّة والنَّار، وبها انقسمت الخليقة إلىٰ مؤمنين وكافرين، والأبرار والفجَّار، وأسِّست الملَّة، ولأجلها جرِّدت السُّيوف للجهاد، وهي حقُّ الله علىٰ جميع العباد». [«زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٣٤)].

إنَّ من أسس كلمة التَّوحيد «لا إله إلا الله محمَّدٌ رسول الله»: الحبُّ في الله والبغض في الله، وهذا أوثق عرىٰ الإيمان.

فالولاء والبراء ركنٌ من أركان العقيدة، وأصلٌ عظيمٌ من أصول الدِّين، وشرطٌ ضروريٌّ لازمٌ من شروط الإيمان؛ فلا يجوز التَّغافل عن هذه العقيدة، ولا إهمالها أو التَّفريط فيها؛ لأنَّ عقيدة الولاء والبراء يتحقَّق بها الإيمان ويكمل، وبتضييعها ينقص الإيمان، وقد يؤدِّي بمن يفعل ذلك إلىٰ الكفر -والعياذ بالله-؛ قال الله ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ =

=

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة:٥١].

ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

وقال النَّبي ﷺ: «**أوثق عرىٰ الإيمان الموالاة في الله، والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**» [أخرجه الطبراني في «الصغير» (٦٢٤) من حديث ابن مسعود، وحسنه الألباني في «السلسلة الصَّحيحة» (٩٩٨)].

وقال النَّبي ﷺ: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» [أخرجه أبو داود (٤٦٨١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٢٩)].

أما عن تعريف الولاء والبراء:

فالولاء: هو أن تحبَّ الله ورسوله، والصَّحابة، والمؤمنين، وتسعىٰ إلىٰ نصرتهم.

ومن مظاهره: محبَّة المؤمن وولائه، وتأييده ونصرته، والنُّصح له، والشَّفقة عليه.

وأما البراء: فهو أن تبغض من حادَّ الله ورسوله والصَّحابة والمؤمنين، من الكافرين والمشركين، والمنافقين، والمبتدعين، والفسَّاق؛ فلا ولاء، ولا ودَّ، ولا محبَّة للكافرين، ولا ننصرهم ونؤيِّدهم، بل نبغضهم لكفرهم؛ قال ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

قال الشَّيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهَّاب: «فهل يتمُّ الدِّين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر إلَّا بالحبِّ في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان النَّاس متَّفقين علىٰ طريقةٍ واحدة، ومحبَّةٍ من غير عداوةٍ ولا بغضاء، لم يكن فرقانًا بين الحقِّ والباطل، ولا بين المؤمنين والكفَّار، ولا بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان» [«رسالة أوثق عرىٰ الإيمان» للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص٣٨)].

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «فمن أصول العقيدة الإسلاميَّة أنَّه يجب علىٰ كلٍّ =

=

مسلمٍ يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها فيحب أهل التَّوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملَّة إبراهيم والَّذين معه،الَّذين أمرنا بالاقتداء بهم،حيث يقول ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]».

وقد كان نبيُّنا -عليه الصَّلاة والسَّلام- يبايع أصحابه علىٰ تحقيق هذا الأصل العظيم، فكان يقول لبعضهم: «**أبايعك علىٰ أن تعبد الله، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين**»، رواه النسائي، وأحمد [أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (٧٨٠٠) من حديث جرير رضي الله عنه].

وروىٰ الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: «قلت لعمر رضي الله عنه إنَّ لي كاتبًا نصرانيًّا قال: مالك، قاتلك الله أما سمعت الله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١]، ألا اتَّخذت حنيفًا؟ -يعني مسلمًا- قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه. قال: لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزَّهم إذا أذلَّهم الله، ولا أدنيهم إذا أقصاهم الله».

وقال الشَّيخ ابن عثيمين رحمه الله: «...فيجب علىٰ كلِّ مؤمن أن يتبرَّأ من كلِّ مشركٍ وكافر، وكذلك يجب علىٰ المسلم أن يتبرَّأ من كلِّ عمل لا يرضي الله ورسوله، وأن لم يكن كافرًا، كالفُسوق والعصيان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات:٧]، وإذا كان مؤمن عنده إيمانٌ وعنده معصية، فنواليه علىٰ إيمانه، ونكرهه علىٰ معاصيه، وهذا يجري في حياتنا، فقد تأخذ دواء كريه الطَّعم وأنت كاره لطعمه، أنت ومع ذلك راغب فيه لأنَّ فيه شفاء للمرض، أمَّا الأعمال فنتبرَّأ من كلِّ عملٍ محرَّم، ولا يجوز لنا أن نألف الأعمال المحرَّمة، ولابدَّ أن نأخذ بها، والمؤمن العاصي نتبرأ من عمله بالمعصية، ولكنَّنا نواليه ونحبُّه علىٰ ما معه من الإيمان» [«مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين» (رقم ٣٨٢)].

خاتمـة المُعَلِّق

هَذَا مَا تيَسَّر جَمْعه مِن كلام أهل العِلْم المُعتَبرين قديمًا وحَدِيثًا في التَّعلِيق علىٰ هَذِه «الكواشف الجَلِيَّة بَيْن السَّلفِيَّة والدَّعَوات الحِزبيَّة البدْعِيَّة»، لفَضِيلة الشَّيخ محمد بن رمزان آل طامي الهاجري حفظه الله.

نَسْألُ اللهَ أنْ يَنفَع بهَا قائلَها والمُعَلِّقَ عَليها، ونَاشِرَها، وأنْ تَكُون نِبْرَاسًا هادِيًا يُنِير الطَّريق أمَام طُلَّاب الحق؛ ليبصرُوا الكواشف بَيْنَ الدُّعَاة السَّلفِيِّين وأدعياء السَّلفِيَّة، وكذلك بَيْنَ السَّلفِيَّة والدَّعَوات البِدْعِيَّة القائمَة علىٰ غير هَدْيِ الكِتَاب والسُّنة.

واللهُ مِن ورَاء القَصْد، وهو الهَادِي إلَىٰ سوَاء السَّبيل.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- مقدمة الناشر ٦
- ترجمة فَضِيلَة الشَّيخ مُحَمَّد بن رَمزان الهاجري ١٣

الكواشف الجلية
للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية

- المقدمة ٢٤
- الكاشف الأول: الموقف من الاعتقاد في صفات الله ٤٤
- الكاشف الثاني: الموقف من الشركيات ٤٩
- الكاشف الثالث: الموقف من الإمامة والبيعة ٥١
- الكاشف الرابع: الموقف من الجماعة ٥٤
- الكاشف الخامس: الموقف من الجهاد ٥٦
- الكاشف السادس: الموقف من الدماء المعصومة بالإيمان والأمان ٦١
- الكاشف السابع: الموقف من العلماء، ومن هم العلماء؟ ٦٤
- الكاشف الثامن: الموقف من البدعة وأهلها ٦٦
- الكاشف التاسع: الموقف من التكفير ٦٩

الكاشف العاشر: الموقف من عقيدة الولاء والبراء ٧٧
خاتمـة المُعَلّق..... ٨١
فهرس الموضوعات ٨٥